# طالب العلم والبداية

منصة زادي للتعلم الشرعي المفتوح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

## منصة زادي للتعلم الشرعي المفتوح

# حقيبة طالب العلم

## مقرر المساق الأول

## طالب العلم والبداية

## الوحدة الأولى : فضائل وأركان في طلب العلم:

الدرس الأول: فضل طلب العلم.

الدرس الثاني: الإخلاص في طلب العلم

الدرس الثالث: الصبر في طلب العلم

الدرس الرابع: الهمة في طلب العلم

الدرس الخامس: العمل ثمرة العلم

# الوحدة الأولى: فضائل وأركان في طلب العلم

## الدرس الأول من الوحدة الأولى: فضل طلب العلم.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أما بعد؛

فالعِلم " هُوَ تَرِكَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُرَاثُهُمْ، وَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَهُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ.

بِهِ يُعْرَفُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذْكَرُ وَيُوَحَّدُ، وَيُحْمَدُ وَيُمَجَّدُ، وَبِهِ اهْتَدَى إِلَيْهِ السَّالِكُونَ. وَمِنْ طَرِيقِهِ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَاصِلُونَ، وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاصِدُونَ.

بِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ وَالْأَحْكَامُ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَبِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ وَبِهِ تُعْرَفُ مَرَاضِي الْحَبِيبِ، وَبِمَعْرِفَتِهَا وَمُتَابَعَتِهَا يُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ.

مُذَاكَرَاتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَطَلَبُهُ قُرْبَةٌ، وَبَذْلُهُ صَدَقَةٌ،

وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَالْحَاجَةُ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْهَا إِلَى الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ. وَحَاجَتُهُ إِلَى الْعِلْمِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِهِ" مدارج السالكين (2/439-440) باختصار.

وإذا فقدَ الناسُ العِلمَ "فهم بمنزلة الأرض التي فقدَت الغَيثَ" مفتاح دار السعادة (61/1).

العِلْمُ أَحْلَى وأَغْلَى مَا لَهُ اسْتَمَعَتْ أُذُنٌ وأَعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

العِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلوبٍ، وطالِبُـــهُ للهِ أَكْرَمُ مَن يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

وقد تضافَرت النُّصوص الشرعيَّة في الكتاب والسُّنَّة في بيان فضل طلب العِلْم ومنزلته الكبيرة في الشرع:

- فالعلْم طريقٌ لدخول الجنة: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) رواه مسلم (2699). " أَيْ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ يُوَفِّقَهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى الْجَنَّةِ. وَفِيهِ بِشَارَةٌ بِتَسْهِيلِ الْعِلْمِ عَلَى طَالِبِهِ لِأَنَّ طَلَبَهُ مِنَ الطُّرُقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى الْجَنَّةِ " فتح الباري (160/1).

- وقد جعله النبي ﷺ علامة على إرادة الله بالعبد الخير: فقال ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) رواه البخاري (71)، ومسلم (1037).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "الفقه في الدِّين ليس المقصود به فقه الأحكام العمليَّة، المخصوصة عند أهل العلم بعلم الفقه فقط؛ ولكن المقصود به هو: علم التوحيد وأصول الدِّين وما يتعلَّق بشريعة الله عزَّ وجلَّ.

ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسُّنَّة إلا هذا الحديث في فضل العلم؛ لكان كافيًا في الحثِّ على طلب عِلْم الشريعة والفقه فيها" كتاب العِلم صـ 21، بتصرُّف يسير.

- والعِلْم يرفَع صاحبَه في الدُّنيا والآخرة: قال الله تعالى: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}. قال القرطبيُّ رَحِمَه الله: " أي: في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدُّنيا؛ فيرفَع المؤمن على مَن ليس بمؤمن، والعالِم على مَن ليس بعالِم.

وقال ابن مسعود: مدَح الله العلماءَ في هذه الآية.

والمعنى: أنَّه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العِلم، (دَرَجَاتٍ) أي: درجات في دينهم؛ إذا فعلوا ما أُمِروا به" تفسير القرطبي (299/17).

وصدقَ القائِلُ:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ أَرْفَعُ رُتْبَةً  وَأَجَلُّ مُكْتَسَبٍ وَأَسْنَى مَفْخَرِ

قال البيهقي: " ولا درجة بعد النبوة أفضل من درجة العلم" المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (48/2).

وعَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ أَنَّه لَقِيَ عُمَرَ رضي الله عنه بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ؛ فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْن أَبْزَى. قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ عمرُ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ) رواه مسلم (817).

وانظر إلى الإمام الفقيه عطاء بن أبي رَبَاح رحمه الله، كان عبدًا أسودَ لامرأة من أهل مكة، وكان أعورَ، أفطسَ الأنف، أشلَّ، أعرجَ، ثم عميَ بعد ذلك، ومع ذلك فقد عزَّ بالعِلْم وعلا شأنُه.

فقد حكَوا أنَّه "جاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء، هو وابناه، فجلسوا إليه يُصَلِّي، فلمَّا صلَّى انفتلَ [انصرفَ] إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوَّل قفَّاه إليهم! ثم قال سليمان لابنَيه: قوما. فقاما، فقال: يا بَنِيَّ؛ لا تنيَا في طلب العلم؛ فإنِّي لا أنسى ذُلَّنا بين يدَي هذا العبد الأسود" تاريخ دمشق (375/40).

- والعلْم من العمل النافع الباقي أجرُه بعد مَوت صاحبه إلى يوم القيامة، ومَن علَّم أحدًا شيئًا فهو شريكُه في الأجر: ففي الحديث: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ، إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) رواه مسلم (1631).

وفي حديثٍ آخر: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا) رواه مسلم (2674). "فيالها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن يكون المرءُ في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقاً وأوصالاً متفرقة، وصحف حسناته متزايدة يملى فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب! تلك والله المكارم والغنائم، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون" طريق الهجرتين ص353.

- وطالبُ العلْم تتواضَع له الملائكة وتُعَظّمه فمعه ميراث النبي ﷺ وبسبب علمه تصلح الحياة حتى للحيوانات فلهذا تستغفر له الكائنات؛ فبعلمه يضيء الدنيا للخلق كَالقمر ليلة البدر:

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي، أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ! قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) رواه أبوداود (3641) وصححه

الألباني. ولماذا كان لطالب العِلم كل هذا الفضل والحظّ الجزيل؟! "لأنَّه طالبٌ لِمَا به حياة العالم ونجاته" مفتاح دار السعادة (36/1).

- ولهذا لم يأمُرِ اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ بالاستزادة من شيءٍ إلا بالاستزادة من العلْم؛ فقال سبحانه: {وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}. "فلو كان شيءٌ أشرفُ مِن العِلم؛ لأمرَ الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يسأله المزيد منه، كما أمرَ أن يستزيده من العِلْم" تفسير القرطبي (41/4).

وفي الجملة؛ فالأمر كما يقول الإمام ابن القيِّم رحمه الله: "ولو لم يكن في العِلْم إلاَّ القُرْبُ من رَبِّ العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة وصُحبة الملأ الأعلى؛ لكفَى به فضلاً وشرفًا؛ فكيف وعِزُّ الدُّنيا والآخرة مَنوطٌ به ومَشروطٌ بحُصوله؟" مفتاح دار السعادة (104/1).

## الدرس الثاني من الوحدة الأولى: الإخلاص في طلب العلم، ونماذج من المُخلصين، والتحذير من فساد النية.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

- فالعلم عبادة من أجَلِّ العبادات، بل هو أساس كل عبادة، فلا يصلح شيء منها إلا بالعلم، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}.

- ومِنْ شروط قبول أي عبادة كالعلم أو غيره: الإخلاص فيها لله:

الإخلاص هو: تصفية العمل من كل شائبة تشوبه، وذلك بأن تصدر من العبد جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله، وابتغاء مرضاته، قال تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)، (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

وأما كيفية الإخلاص في طلب العلم، فهي كما قال ابن جماعة رحمه الله: " حُسْنُ النِيَّةِ فِي طَلَبِ العِلْمِ بِأَنْ يَقْصِدَ بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، وَالعَمَلَ بِهِ، وَإِحْيَاءَ الشَّرِيعَةِ، وَتَنْوِيرَ قَلْبِهِ، وَتَجْلِيَةَ بَاطِنِهِ، وَالقُرْبَ مِنَ اللهَ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالتَّعرُّض لِمَا أعدَّ لأَهْلِهِ مِنْ رِضْوَانِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ" تذكرة السّامع والمتكلّم صـ35.

- وبالإخلاص مع الأخذ بأسباب التعلم؛ يُرزق طالب العلم صحة الفهم وقوة الاستنباط، وهذا هو الفقه في الدين الذي يرزقه الله من يحب من عباده، قال ﷺ: (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ). رواه البخاري (71)، ومسلم (1037).

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: " الإخلاص لله: أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده، فحينئذ تتفجّر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وكُلَّمَا قَوِيَ إخْلَاصُ دِينِهِ لِلَّهِ؛ كَمُلَتْ عُبُودِيَّتُهُ ". مجموع الفتاوى (198/10).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " وَصِحَّةُ الْفَهْمِ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَيَمُدُّهُ حُسْنَ الْقَصْدِ، وَتَحَرِّي الْحَقَّ، وَتَقْوَى الرَّبِّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ". إعلام الموقعين (69/1).

لاَ يَخْدَعَنَّكَ مَدْحٌ مِنْ مُحِبِّيكَا  وَلَنْ يَضُرَّكَ ذَمٌّ مِنْ أَعَادِيكَا

فَاعْمَلْ لَهُ وَحْدَهُ مَا أَنْتَ عَامِلُهُ  فَحَسْبُكَ اللهُ، إِنَّ اللهَ كَافِيكَا

قال إبراهيم النخعي: " مَنِ ابْتَغَى شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ يَبْتَغِي بِهِ اللَّهَ آتَاهُ اللَّهُ مِنْهُ مَا يَكْفِيهِ ". سير السلف الصالحين (ص697).

- وبالإخلاص يُذعنُ طالب العلم للحق، ويُقبَل النقد، وتصحيح الأخطاء: قال الذهبي: " عَلاَمَةُ المُخْلِصِ: أَنَّهُ إِذَا عُوتِبَ لاَ يَحرَدُ وَلاَ يُبَرِّئُ نَفْسَه، بَلْ يَعترِفُ، وَيَقُوْلُ: رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهدَى إِلَيَّ عُيُوبِي، وَلاَ يَكُنْ مُعجَباً بِنَفْسِهِ؛ لاَ يَشعرُ بِعُيُوبِهَا ". السير (393/7) باختصار.

- وكما يكون طلب العلم خالصًا لله، فكذلك التعليم والتأليف يجب أن يكون خالصًا لله: قال الربيع: دَخَلْتُ عَلَى الشافعي وَهُوَ مَرِيضٌ، فَذَكَرَ مَا وَضَعَ مِنْ كُتُبِهِ، فَقَالَ: " لَوَدِدْتُ أَنَّ الْخَلْقَ تَعْلَمُهُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدًا ". آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص68).

وقال أبو داود الطيالسي: " ينبغي للعالم إذا حرَّر كتابه أن يكون قصده بذلك: نصرة الدين، لا مدحه بين الأقران لحسن التأليف ". تنبيه المغترين ص29.

- ولكن هذا الإخلاص يحتاج إلى معالجة ومجاهدة: قيل لسهل التُستري: أي شيء أشد على النفس؟

فقال: " الإخلاص، إذ ليس لها فيه نصيب ". مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ (ص366).

- وما أكثر الأخبار الطيبة والنماذج المشرقة من سلفنا الصالح الذين تميزوا بالصدق والإخلاص: ولذا كان علمهم أنفع، ووعظهم في النفوس أوقع.

قيل لبعض الزهاد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: " لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق ". صفة الصفوة (314/2).

قال عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه لأويس القرني: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِ الكوفة؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ [فهو لا يريد الشهرة]. ولما فطن الناس إليه انْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. صحيح مسلم (2542).

وقَالَ حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ [أَرَادَ أَنْ يَنْفِيَ عَنْ نَفْسِهِ اتِّهَامَ العبادة والسهر فِي الصَّلَاةِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا. شرح النووي على صحيح مسلم (93/3)]..الحديث. رواه البخاري (5752) ومسلم (220).

وقال الشافعي: " وَدِدْتُ أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ أُعَلِّمُهُ تَعَلَّمَهُ النَّاسُ، أُوْجَرُ عَلَيْهِ وَلاَ يَحْمَدُونِي ". السير (55/10). وقال: " مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا إِلا عَلَى النَّصِيحَةِ". آداب الشافعي ومناقبه (ص69). وقال: " مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ، وَمَا فِي قَلْبِي مِنْ عِلْمٍ إِلا وَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، وَلا يُنْسَبُ إِلَيَّ ". آداب الشافعي ومناقبه (ص68).

وكَانَ أَيُّوْبُ السختياني فِي مَجْلِسٍ، فَجَاءتْهُ عَبْرَةٌ فَجعَلَ يَمْتَخِطُ، وَيَقُوْلُ: " مَا أَشَدَّ الزُّكَامَ! ". السير (20/6).

وقَالَ الْفُضَيْلُ مُوَبِّخًا نفسه: " اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ مِنْهُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَيْفَ بِالْكَذَّابِينَ الْمَسَاكِينِ [يعني نفسه]؟ "، ثُمَّ بَكَى. حلية الأولياء (108/8).

وقال الْأَعْمَشُ: كُنْتُ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ، فَغَطَّى الْمُصْحَفَ، وَقَالَ: "لَا يَظُنُّ أَنِّي أَقْرَأُ فِيهِ كُلَّ سَاعَةٍ". صفة الصفوة (49/2).

وكَانَ ابْن سِيرِين يتحدث بِالنَّهَارِ ويضحك، فَإِذا جَاءَ اللَّيْل أَخذ فِي الْبكاء والعويل.

نهاري نَهَار النَّاس حَتَّى إِذا بــدا  لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمضَاجِعُ

أَقَضِّي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى  وَيَجْمَعُنِي وَالْهَـــــمَّ بِاللَّيْـــلِ

جَامِعُ المدهش (420/1).

واشْتهر ابْن أدهم بِبَلَد، فَقيل: هُوَ فِي الْبُسْتَان الْفُلَانِيّ، فَدخل النَّاس يطوفون، وَيَقُولُونَ: أَيْن إِبْرَاهِيم بن أدهم، فَجعل يطوف مَعَهم، وَيَقُول: أَيْن إِبْرَاهِيم بن أدهم؟! المدهش (400/1).

وقال الإمام أحمد: " أريد أن أكون في بعض تلك الشِّعاب بمكّة، حتى لا أُعْرَف. قد بُليت بالشُّهْرة، إنّي لأتمنّى الموت صباحًا ومساءً ". تاريخ الإسلام (1023/5).

ومن النماذج المعاصرة: الشيخ ابن باز رحمه الله، كتب بعض الشعراء قصيدة في مدحه ومدح عائلته، فلما اطلع الشيخ على القصيدة كتب ردًّا عليها فقال رحمه الله: " قد اطلعت على القصيدة، وقد كدَّرتني كثيرًا؛ *-*لِمَا تضمنته من الغلو في مدحي وعموم قبيلتي، وإنني أنصح قائلها أن يستغفر الله مما صدر منه، وألا يعود لمثله ".

ومع الحرص على الإخلاص فلنحذر من فساد النية:

- فإن فساد النية يُفسد العمل، ويُحبط الثواب، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}، وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ). رواه النسائي (3140)، وحسنه الألباني في الصحيحة (52).

- وفساد النية يُعمي طالب العلم عن حقيقة نفسه، فيغترُّ في نفسه، ويُعجب بها، قال فضيل بن عياض: " يَا مِسْكِيْنُ! أَنْتَ مُسِيءٌ وَتَرَى أَنَّكَ مُحْسِنٌ، وَأَنْتَ جَاهِلٌ وَتَرَى أَنَّكَ عَالِمٌ، وَتَبْخَلُ وَترَى أَنَّكَ كَرِيْمٌ، وَأَحْمَقُ وَتَرَى أَنَّك عَاقِلٌ، أَجَلُكَ قَصِيْرٌ، وَأَمَلُكَ طَوِيْلٌ ".

قال الذهبي:" قُلْتُ: إِي وَاللهِ صَدَقَ، وَأَنْتَ ظَالِمٌ وَترَى أَنَّك مَظْلُوْمٌ، وَآكِلٌ لِلْحَرَامِ وَترَى أَنَّك مُتَوَرِّعٌ، وَفَاسِقٌ وَتَعتَقِدُ أَنَّكَ عَدْلٌ، وَطَالِبُ العِلْمِ لِلدُّنْيَا، وَتَرَى أَنَّك تَطْلُبُهُ للهِ ". السير (440/8).

- فأصلح نيتك يا طالب العلم، ولا تقصد بطلب العلم تحصيل الدنيا؛ فإن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ [أي: رائحتها] يَوْمَ الْقِيَامَةِ). رواه أبو داود (3664)، وابن ماجة (252)، وصححه الألباني في صحيح الجامع -(6159).

قال الفضيل بن عياض:" لو صحت النية في العلم لم يكن عمل أفضل منه، ولكنهم تعلموه لغير العمل به، وجعلوه لصيد الدنيا " تنبيه المغترين صـ 34.

وعن يحيى بن سلام قال: قال لنا سفيان: "لولا أن للشيطان فيه نصيبًا ما ازدحمتم عليه". يعني: العلم. حلية الأولياء (364/6).

وقال ابن حبان: " العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم؛ لما يناله من حطام هذه الدنيا ". روضة العقلاء (34/1).

- ولا تطلب العلم للجدل والمراء؛ فإن النبي ﷺ قال: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ؛ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ). رواه ابن ماجة (253)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (6382).

- ولا تطلب العلم للمفاخرة بالشهادات أو المعلومات؛ فإن الله تعالى قال عن قوم اغترُّوا بعلمهم: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

- لكن ينبغي أن نعلم أن الخوف من الرياء لا يقتضي ترك العلم أو العمل، فإن بعض الناس يترك طلب العلم، أو يترك صلاة الجماعة خوفًا من الرياء. وهذا خطأ شنيع، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: " تَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، وَالْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللَّهُ مِنْهُمَا ". المجموع شرح المهذب (17/1).

## الدرس الثالث من الوحدة الأولى: الصبر في طلب العلم.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فطلب العلم يحتاج إلى الصبر والمثابرة والدأب في التحصيل، ولابد فيه من البذل والتضحية، كما قال أبو يوسف القاضي رحمه الله: " الْعِلْمُ شَيْءٌ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيَهُ كُلَّكَ " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (1523).

وقال يحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ: " لاَ يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ ". صحيح مسلم (1333).

وقال الشافعي رحمه الله: " حقَّ على طلبة العلم بلوغُ غاية جهدِهم في الاستكثار من علمه، والصبرُ على كل عارض دون طَلَبِه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصًّا واستنباطًا، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يُدرَك خيرٌ إلا بعونه ". الرسالة (19/1).

فلا بد لنيل العلم من طول الصبر والمجاهدة، كما قال الشاعر:

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّـــةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ

ذَكَاءٌ، وَحِرْصٌ، وَاجْتِهَادٌ، وَبُلْغَةٌ ... وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ، وَطُولُ زَمَانِ

والصبر يمكن تحصيله كما وعد النبي ﷺ بقوله: (وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ) البخاري (1469). قال عبد الواحد بن زيد: "من نوى الصبر على طاعة الله صبره الله عليها وقواه لها، ومن نوى الصبر عن معاصي الله أعانه الله على ذلك وعصمه منها" حلية الأولياء (163/6).

وطالب العلم يحتاج إلى الصبر على طلب العلم من جوانب كثيرة:

- ومنها: الصبر على حضور الدروس العلمية حتى لو كانت في وقت لم يتعود عليه الطالب [بعد الفجر أو بعد العشاء مثلا] والصبر على المداومة إلى آخر شرح الكتاب أو الدورة.

فأحيانًا تقام دورات علمية مكثفة، ويُقبل عليها الشباب في بداية الدورة، ولكن بعد أيام يقل الحضور، ويغيب الكثير من الطلاب؛ لأنهم نفد صبرهم.

وهذا خلاف ما عليه سلفنا من العلماء وطلاب العلم، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: قلتُ لأبي: القعنبي أحبُّ إليك في الموطأ أو إسماعيل بن أبي أويس؟ قال: القعنبيُّ أحبُّ إليَّ، لَمْ أَرَ أَخْشَعَ مِنْهُ، سَأَلْنَاهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْنَا المُوَطَّأ، فَقَالَ: تَعَالَوْا بِالغَدَاةِ. فَقُلْنَا: لَنَا مَجْلِسٌ عِنْدَ حَجَّاجِ بنِ مِنْهَالٍ. قَالَ: فَإِذَا فَرَغْتُم مِنْهُ؟

قُلْنَا: نَأْتِي حِيْنَئِذٍ مُسْلِمَ بنَ إِبْرَاهِيْمَ. قَالَ: فَإِذَا فَرَغْتُم؟

قُلْنَا: نَأْتِي أَبَا حُذَيْفَةَ النَّهْدِيَّ. قَالَ: فَبَعْدَ العَصْرِ؟

قُلْنَا: نَأْتِي عَارِماً أَبَا النُّعْمَانِ. قَالَ: فَبَعْدَ المَغْرِبِ؟ فَكَانَ يَأْتِينَا بِاللَّيْلِ، فَيَخْرُجُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ كَبْلٌ [أي: فَرْوٌ كبيرٌ] مَا تَحْتَهُ شَيْءٌ فِي الصَّيْفِ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا فِي الحَرِّ الشَّدِيدِ حِيْنَئِذٍ" الجرح والتعديل (5 / 181)، سير أعلام النبلاء (260/10).

- والصبر على المذاكرة والمراجعة: مرات ومرات كثيرة بلا ملل حتى يثبت الحفظ وتتجدد الفوائد.

قال أَبو بكر الصبغي عن بعض مسائل العلم: " كررتها على نفسي ألف مرّة حَتَّى تحققتها ". طبقات الشافعية الكبرى (184/3).

وقَالَ المزني:" أَنا أنظر في كتاب الرسَالَة مُنْذُ خمسين سنة مَا أعلم أَنى نظرت فِيهِ مرّة إِلَّا وَأَنا أستفيد شَيْئا لم أكن عَرفته" طبقات الشافعية الكبرى (99/2).

- ويحتاج المُقِلُّ إلى الصبر على الجوع والعطش في طريق العلم: قال أبو هريرة رضي الله عنه: " إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ

أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ.

وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ". رواه البخاري (118)، ومسلم (2492).

وقال أيضًا: " لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ ". رواه البخاري (7324).

- والصبر على السهر في تحصيل العلم: لابد لطالب العلم أن يسهر في المذاكرة والمطالعة حتى يحصل العلم؛ فإن في النهار أشغالا. قال بعض الفضلاء: " مَتَى تَبْلُغُ مِنَ الْعِلْمِ مَبْلَغًا يُرْضِي، وَأَنْتَ تُؤْثِرُ النَّوْمَ عَلَى الدَّرْسِ، وَالأَكْلَ عَلَى الْقِرَاءَةِ ". الحث على طلب العلم صـ77.

وقال علي بن الحسن بن شقيق: " قمتُ مع ابن المبارك ليلةً باردةً؛ ليخرج من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرته، فما زال يذاكرني حتى جاء المُؤذِّن، فأذَّن للفجر". تذكرة الحفاظ (277/1).

وقال الفضيل بن عياض: " كنا نجلس أنا وابن شبرمة والقعقاع بن يزيد والحارث العكلي نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمع النداء لصلاة الفجر". تهذيب التهذيب (267/8).

وقال مُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ الفِرَبْرِيُّ: " كُنْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ [يعني: البخاري] بِمَنْزِلِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَحصيتُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَامَ وَأَسْرَجَ يَسْتَذكرُ أَشْيَاءَ يُعَلِّقُهَا فِي لَيْلَةٍ ثَمَانِ عَشْرَةَ مرَّة ". السير (404/12).

وقال النووي حاكيًا عن أوائل طلَبِه للعلم: " بقيتُ نحو سنتين لم أضع جنْبي إِلَى الأرض. وكان قوتي فيها جراية المدرسة لا غير ". تاريخ الإسلام (324/15).

وسأل البدرُ بن جماعة النووي عن نومه، فقال: " إذا غلبَني النوم استندتُ إلى الكتب لحظة، وأنتبه ". حاشية تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (47/1).

- والصبر على النصب والتعب: فموسى عليه السلام نصب في طريقه إلى الخضر؛ لطلب العلم: {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}.

قال عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا فُلَانُ، هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ. فَقَالَ: وَا عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ، فَآتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ [أي: نائم وقت القيلولة]، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ، فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟ فَأَقُولُ: " لَا. أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ، فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ ". قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَآنِي، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي!. رواه الدارمي (570).

- والصبر على جفاء المعلم لو كان جافيًا: فبعض طلبة العلم مدلل إن اشتد عليه الشيخ يومًا، أو عنَّفه مرة؛ ترك مجلسه، بل ربما انقطع عن طلب العلم بالكلية!

قال أبو بكر بن عياش: " أتينا الأعمش، وَكَانَ يُخْرِجُ إِلَيْنَا شَيْئاً، فَنَأكُلُه، فَقُلْنَا يَوْماً: لاَ يُخْرِجُ شَيْئاً إِلاَّ أَكَلتُمُوْهُ. فَأَخرَجَ شَيْئاً، فَأَكَلنَاهُ، وَأَخْرَجَ، فَأَكَلنَاهُ، فَدَخَلَ، فَأَخرَجَ فتيتاً، فَشَرِبنَاهُ، فَدَخَلَ، وَأَخْرَجَ إِجَانَةً وَقَتّاً [طعام الشاة]، وَقَالَ: فَعَلَ اللهُ بِكُم وَفَعَلَ، أَكَلتُم قُوْتِي وَقُوْتَ المَرْأَةِ، وَشَرِبتُم فتيتَهَا، هَذَا عَلَفُ الشَّاةِ. قَالَ: فَمَكَثنَا ثَلاَثِيْنَ يَوْماً لاَ نَكْتُبُ عَنْهُ، فَزَعاً مِنْهُ، حَتَّى كَلَّمْنَا إِنْسَاناً عَطَّاراً كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ حَتَّى كلَّمَه لَنَا.. السير (247/6) باختصار.

- والصبر على إنفاق المال في طلب العلم وشراء الكتب، ونحو ذلك من مستلزمات العلم.

قال ابن القاسم: " أفضى بمالكٍ طلبُ العلم إلى أن نقض سقف بيته، فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعدُ ". ترتيب المدارك وتقريب المسالك (130/1).

وقال إسماعيل بن عياش: " ورثت من أبي أربعة آلاف دينار أنفقتها في طلب العلم ". تذكرة الحفاظ (187/1).

قال الشاعر عن الكتب:

تِلْكَ النَّفَائِسُ لَوْ تُبَاعُ بِوَزْنِهَا ذَهَبًا لَكَانَ الْبَائِعُ الْمَغْبُونَا

" وعُذِلَ بعضُ العلماء في كثرة شراء الكتب، فقال:

وقائلةٍ أنفقتَ في الكُتْبِ ما حَوَت يمينُك من مالٍ فقلتُ: دعيني

لعلّي أرى فيهـــا كتابًـا يَدُلُّنـــي لأخْذِ كتـــابي آمِنًـا بيميني"

المشوق إلى القراءة وطلب العلم صـ 36.

- ومنها: الصبر على الفاقة والحاجة إلى أن يوسع الله عليك: فطالب العلم قد يشغل عن الوظائف والتجارة وقت الطلب والدراسة؛ فيقل ماله، فليصبر في سبيل تحصيل العلم.

كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ [أَيْ: لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ. تحفة الأحوذي (8/7)] وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ [أي: أنه لا يعمل وأنفق عليه فهو عالة عليَّ]. فَقَالَ: (لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ). رواه الترمذي (2345)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (5084). فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ شُغْلَ الدُّنْيَا لأجل تحصيل العلم. مرقاة المفاتيح (8/ 3328) باختصار وتصرف.

وبالتأكيد هذا بشكل مؤقت يحتاج فيه إلى التفرغ للدراسة دون أنْ يُضر بعائلته أو من تلزمه نفقته، ثم بعد ذلك من السهولة أن يجمع بين أشغال الدنيا وطلب العلم.

قال أبو حاتم الرازي: " بقيت بالبصرة ثمانية أشهر، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتي، فجعلت أبيع ثيابي شيئًا بعد شيء، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة، وأسمع منهم إلى المساء، فجعلت أشرب الماء من الجوع، فجعلت أطوف في سماع الحديث على جوع شديد، فلما كان من الغد غدا علي صديقي، فقال: مر بنا إلى المشايخ فقلت: أنا ضعيف لا يمكني. قَالَ: ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري قد مضى يومان ما طعمت فيهما، فقال لي رفيقي: معي دينار فأنا أواسيك بنصفه، وتجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وقبضت منه النصف دينار " تاريخ بغداد (414/2).

وكان أبو نعيم يأخذ عَلَى التحديث أجرة شَيْئًا قَلِيْلًا من المال لِأجل فَقْرِهِ، فلامه الناس على ذلك، فقال: " يَلُوْمُونَنِي عَلَى الأَخْذِ، وَفِي بَيْتِي ثَلاَثَةَ عَشَرَ نَفْسًا، وَمَا فِي بَيْتِي رَغِيْفٌ! ". السير (152/10).

## الدرس الرابع من الوحدة الأولى: الهِمَّة والمداومة على طلب العلم.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فعلو الهمة أصل الأخلاق المحمودة، وأصل الرياسة والإمامة، والسابقون المقربون هم صفوة الخلق، أهل الهمم العالية.

والناس إنما تعلو أقدارهم وترتفع منازلهم بحسب أنصبتهم من علو الهمة وشرف المقصد.. فمن علت همته اتصف بكل جميل، ومن دنت همته اتصف بكل قبيح.. والنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها.

وعالي الهمة يترقى في مدارج الكمال بحيث لا يأبه بقلة السالكين، ولا يرضى بالدون ولا يرضيه إلا معالي الأمور التي يحبها الله ورسوله، فقد قالَ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا) الطبراني المعجم الكبير (214/3) وصححه الألباني.

قال بعض الحكماء: " ذو الهمة إن حُطَّ؛ فنفسه تأبى إلا علوًّا كالشّعلة من النار يصوّبها صاحبها، وتأبى إلا ارتفاعًا " عيون الأخبار (335/1).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " قِيلَ: الْعَامَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ، وَالْعَارِفُونَ يَقُولُونَ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ ما يَطْلُبُ " الجواب الصحيح (35/6).

ولله در القائل:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَـــارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

والمقصود بـ"علو الهمة":" أن ينتهي بالنفس إلى كمالها الممكن لها في العلم والعمل" صيد الخاطر صـ 184.

- وعلو الهمة من أهم العوامل المعينة على تحصيل العلم، والمداومة على طلبه، قال الشوكاني رحمه الله: " ينبغي لمن كان صادق الرغبة، عزيز النفس، عاليَ الهمة ألا يرضى لنفسه بالدُّون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجِدِّ والاجتهاد المُبلِّغَيْن له إلى أعلى ما يراد؛ وأرفع ما يستفاد " أدب الطلب ومنتهى الأرب (127/1).

وقال ابن الجوزي: " للطالب المرزوق علامةٌ، وهو أن يكون مرزوقًا علو الهمة، وهذه الهمة تولد مع الطفل، فتراه من زمن طفولته يطلب معالي الأمور " صيد الخاطر (190/1).

قال ابن جرير الطبري لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه. فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قَالَ: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فذكر نحوًا مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك. فقال: إنا لله ماتت الهمم. تاريخ بغداد (161/2).

له هِمَّةٌ تعلو على كُلِّ همةٍ  كما قد علا البَدرُ النجومَ الدراريا

- وكيف لا تعلو الهمة لتحصيل ميراث الأنبياء؟ قال ﷺ: (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ). رواه الترمذي (2682)، وأبو داود (3641)، وابن ماجة (223)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (6297).

قال الإمام النووي: " لَيْسَ بِعَاقِلٍ مَنْ أَمْكَنَهُ دَرَجَةُ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ فَوَّتَهَا ". المجموع (37/1).

وهذا ابن الجوزي يقول" فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه: فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات؛ لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض! ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد؛ رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض! غير أنه إذا لم يمكن ذلك، فينبغي أن يطلب الممكن" صيد الخاطر صـ 173.

- ومن علامة علو الهمّة: استمرارية طالب العلم في طلبه طوال العمر: فطلب العلم ليس مقصورًا على التخرج من الجامعة، ولا الحصول على الدكتوراة ولا غير ذلك.

فقد كان الإمام أحمد بْن حنبل يحمل المحبرة عَلَى كبر سنِّه، فَقَالَ لَهُ رجل: إِلَى متى يا أبا عَبْد اللَّهِ؟ فَقَالَ: " مع المحبرة إِلَى المقبرة ". تلبيس إبليس (292/1).

وقِيلَ لابْنِ الْمُبَارَكِ: إِلَى كَمْ تَكْتُبُ الْحَدِيثَ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَنْتَفِعُ بِهَا لَمْ أَسْمَعْهَا بَعْدُ. صفة الصفوة (326/2).

وَقَالَ ابْنُ عَقِيْلٍ: " عصمنِي اللهُ فِي شبَابِي بِأَنْوَاعٍ مِنَ العِصْمَة، وَقَصَرَ مَحَبَّتِي عَلَى العِلْم، وَمَا خَالطتُ لَعَّاباً قَطُّ، وَلاَ عَاشرتُ إِلاَّ أَمثَالِي مِنْ طَلَبَةِ العِلْم، وَأَنَا فِي عَشْرِ الثَّمَانِيْنَ أَجِدُ مِنَ الحِرْصِ عَلَى العِلْم أَشدّ مِمَّا كُنْتُ أَجده وَأَنَا ابْنُ عِشْرِيْنَ ". السير (446/19).

له هِمَّةٌ تعلو على كُلِّ همـــةٍ  كما قد علا البَدرُ النجومَ الدراريا
ولم أجِد الإنسانَ إلا ابن سعيِه  فمن كان أسعَى كان بالمجدِ أجدرا
وبالهمةِ العلياءِ يرقَى إلى العُلا  فمن كان أرقَى هِمَّةً كان أظهـرا
ولم يتأخرْ مَن يريدُ تقدمًـــا  ولم يتقـــدمْ مَن يريدُ تأخـــرا

مجمع الحكم والأمثال لأحمد قبش صـ 217.

- بل إن طالب العلم يستمر في التعلم إلى آخر الرمق الأخير من عمره: ذُكِرَ دعاءٌ عند ابن جرير الطبري وهو في سياق الموت، فاستدعى محبرة وصحيفة، فكتبه. فقيل له: أفي

هذه الحال؟ فقال: " ينبغي للإنسان ألا يدع اقتباس العلم حتى يموت ". تاريخ دمشق (199/52).

ودخلوا على سفيان الثوريّ في مرضه الذي مات فيه، فحدَّثه رجلٌ بحديث فأعجبه، وضرب يده إلى تحت فراشه، فأخرج ألواحًا له فكتب ذلك الحديث، فقالوا له: على هذه الحال منك؟! فقال: "إِنَّهُ حَسَنٌ، إِنْ بَقِيتُ فَقَدْ سَمِعْتُ حَسَنًا، وَإِنْ مُتُّ فَقَدْ كَتَبْتُ حَسَنًا". حلية الأولياء (64/7).

- ولنعلم أن كبر السن ليس بعائق عن طلب العلم: فكم ذا رأينا من كبار السن همتهم عالية جدًّا في التعلم. قَالَ الْمَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيّ لِلْمَأْمُونِ: أَيَحْسُنُ بِمِثْلِي أَنْ يَتَعَلَّمَ؟ فَقَالَ: " لأَنْ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمُوتَ قَانِعًا بِالْجَهْلِ ". الحث على طلب العلم صـ76.

وكم رأينا في زماننا من بدأ رحلة طلب العلم بعد سن الستين، ورأينا من ختم القرآن حفظًا وقد بدأ بعد سنّ السبعين!

- عجبًا لهمة عالية في طلب العلم حتى في الولائم والعزائم! حُكِيَ عَنْ أبي العباس ثَعْلَبٍ [عالم النحو] أَنَّهُ كَانَ لَا يُفَارِقُهُ كِتَابٌ يَدْرُسُهُ، فَإِذَا دَعَاهُ رَجُلٌ إِلَى دَعْوَةٍ شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَسِّعَ لَهُ مكانًا يضع فِيهَا كتابًا وَيقْرَأ. الحث على طلب العلم صـ77.

- ومن الهمة العالية لطالب العلم: جمع الفوائد وتدوينها وتصنيفها والصبر على ذلك: قال أَبو عُبَيْدٍ القاسم بن سلاّم: "كُنْتُ فِي تَصْنِيْفِ هَذَا الكِتَابِ [أي: الغريب المصنف] أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَرُبَّمَا كُنْتُ أَسْتَفِيْدُ الفَائِدَةَ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، فَأَضَعُهَا فِي الكِتَابِ، فَأَبِيْتُ سَاهِرًا فَرِحًا مِنِّي بِتِلْكَ الفَائِدَةِ، وَأَحَدُكُم يَجِيئُنِي، فَيُقِيمُ عِنْدِي أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، فَيَقُوْلُ: قَدْ أَقَمْتُ الكَثِيْرَ!". السير (496/10).

- ومَنْ همته عالية يشتهي العلم أكثر من لذات الدنيا: ولا عجب في ذلك فاللذة التي تفيض على الروح من العلم والإيمان أعظم بكثير من لذات الدنيا، ولذا لمَّا نهى النبي ﷺ أصحابه عَنِ الْوِصَالِ، فَقَالَ لَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: فَإِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُوَاصِلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَيُّكُمْ مِثْلِي؟ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي [أي: يَجْعَل اللَّه تَعَالَى فِيَّ قُوَّة الطَّاعِم الشَّارِب. شرح النووي على صحيح مسلم (213/7)]). رواه البخاري (6851) ومسلم (1103).

" وذلك عن طريق ما يُغذِّيه الله به من معارفه، وتوابع ذلك من الأحوالِ التي هي غذاءُ القلوب، ونعيمُ الأرواح، وقد يَقوى هذا الغذاء حتى يُغْنى عن غِذاء الأجسام مدةً من الزمان " زاد المعاد (33/2) باختصار.

قيل للشافعي: كيف حرصك على العلم؟ قال: " حرص الجموع المنوع في بلوغ لذّته للمال ". موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (196/1). فقيل له: فكيف طلبك له؟ قال: " طلب المرأة المضلّة ولدها ليس لها غيره ". تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّم في أَدَب العَالِم والمُتَعَلِّم (5/1).

ومن العَجَب ما ذكره ابن الجوزي فقال: " إنّ العلم لمّا كان أشرف الأشياء؛ لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر؛ لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس! ". صيد الخاطر (281/1).

وأعجب من هذا قول شعبة رحمه الله: " إِنِّيْ لأُذَاكر بِالحَدِيْثِ يَفُوتُنِي فَأَمرَضُ " السير (228/7).

- والهمّة العالية تعين طالب العلم على المداومة على طلبه ومذاكرته: وقد ضرب لنا السلف الصالح أروع الأمثلة في طول النفس في طلب العلم وملازمة العلماء: قال عِكْرِمَةُ: " طَلَبْتُ العِلْمَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَكُنْت أُفْتِي بِالبَابِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي الدَّارِ " سير أعلام النبلاء (14/5).

وقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ثَعْلَبٌ: " مَا فَقَدْتُ إِبْرَاهِيْمَ الحَرْبِيَّ مِنْ مَجْلِسِ لُغَةٍ وَلاَ نَحْوٍ مِنْ خَمْسِيْنَ سَنَةً ". سير أعلام النبلاء (360/13).

وقال يحي القطان: "لَزِمْتُ شُعْبَةَ عِشْرِيْنَ سَنَةً ". سير أعلام النبلاء (175،99/9).

وقال الشيخ علي الطنطاوي عن نفسه: " أُمضي يومي أكثره في الدار أقرأ، ومعدَّل قراءتي مائة صفحة كل يوم من سنة (1340) إلى هذه السنة (1402). اثنان وستون سنة احسبوا كم يومًا فيها، واضربوها بمائة، تعرفوا كم صفحة قرأتُ ". المشوق إلى القراءة وطلب العلم صـ67.

- والهمة العالية في طلب العلم تعين على كثرة القراءة والفهم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " رُبمَا طالعت على الْآيَة الْوَاحِدَة نَحْو مائَة تَفْسِير، ثمَّ أسأَل الله الْفَهم، وَأَقُول: يَا معلم آدم وَإِبْرَاهِيم عَلمنِي، وَكنت أذهب إِلَى الْمَسَاجِد المهجورة وَنَحْوهَا، وأُمرّغ وَجْهي فِي التُّرَاب وأسأل الله تَعَالَى، وَأَقُول: يَا معلم إِبْرَاهِيم فهمني ". العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (42/1).

- همته عالية في قراءة المطوَّلات في مجالسَ معدودات: فضعيف الهمة يظل عمره كله لا يكاد يُتِمُّ كتابًا واحدًا، أما صاحب الهمة العالية؛ فيقرأ في مجلس واحد، أو في مجالس قليلة ما يقرؤه غيره في عمره كله.

قال الخطيب البغدادي: " قرأت على إسماعيل بن أحمد الحيري صحيح البخاري جميعه في ثلاثة مجالس، اثنان في ليلتين كنت أبتدئ بالقراءة وقت صلاة المغرب، وأقطعها عند صلاة الفجر، وفي الليلة الثالثة قرأت عليه من ضحوة النهار إلى المغرب، ثم من المغرب إلى طلوع الفجر". تاريخ بغداد (311/6) باختصار وتصرف.

وقال القاسمي الدمشقي: " اتفق لي بحمده تعالى قراءة صحيح مسلم بتمامه روايةً في أربعين يومًا، وقراءة سنن ابن ماجه كذلك في واحدٍ وعشرين يومًا، وقراءة الموطَّأ في تسعة عشر يومًا، وقراءة تهذيب التهذيب مع تصحيح سهو القلم فيه وتَحْشيته في نحو عشرة أيام.

فدع عنك أيُّها اللائم الكسلَ، واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل المشوق إلى القراءة وطلب العلم ص66.".

## الدرس الخامس من الوحدة الأولى: العمل ثمرة العلم

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فقد ذكرنا فضائل كثيرة للعمل والعلماء، ولكن هذه الفضائل لا تثبت بالعلم المجرد عن العمل، قال ابن جماعة رحمه الله: "اعلم أن جميع ما ذُكِرَ من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين، الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب" تذكرة السامع والمتكلم صـ 68.

ولهذا قيل" الْعِلْمُ شَجَرَةٌ وَالْعَمَلُ ثَمَرَةٌ، وَلَيْسَ يُعَدُّ عَالِمًا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِهِ عَامِلًا " اقتضاء العلم العمل (14/1).

- فالعلم النافع يُنادي على العمل الصالح والتطبيق: فلا يصلح هذا إلا بذاك، أما العلم بلا عمل؛ فهو حُجَّةٌ على الإنسان، كما قال النبيُّ ﷺ: (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أَوْ عَلَيْكَ). رواه مسلم (223).

قال النووي رحمه الله: "معناه ظاهرٌ. أي: تنتفع به إن تلوتَه، وعملتَ به، وإلا فهو حُجَّةٌ عَلَيْكَ ". شرح النووي على صحيح مسلم (102/3).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: " تَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا، فَإِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا ". اقتضاء العلم العمل (10).

وقال الحسن البصري: " أَدْرَكْتُ الناسَ وَالنَّاسِكُ إذا نَسَكَ لم يُعْرَفْ من قِبَلِ مَنْطِقِهِ، وَلَكِنْ يُعْرَفُ من قِبَلِ عَمَلِهِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ ". رواه الدارمي (541).

وقال مَطَر الوراق: " خَيْرُ الْعِلْمِ: مَا نَفَعَ، وَإِنَّما يَنْفَعُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ مَنْ عَلِمَهُ، ثُمَّ عَمِلَ بِهِ، وَلَا يَنْفَعُ بِهِ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ ". اقتضاء العلم العمل (34).

وقال الشَّافِعِيُّ: " العِلْمُ: مَا نَفَعَ، لَيْسَ العِلْمُ مَا حُفِظَ ". السير (89/10). وقال أيضًا: " زينة العلم: الورع والحلم". تهذيب الأسماء واللغات (54/1).

ولذا فقد ذمَّ الله تعالى الذين لا يعملون بالعلم ذمًّا بليغًا، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}، {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}.

وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ}.

وشبَّه الله تعالى من لا يعمل بالعلم بالحمار، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} " أي: كمثل الحمار إذا حمل كُتُبًا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملًا حِسِّيًّا، ولا يدري ما عليه.

وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظًا، ولم يفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، بل أوَّلوه وحرَّفوه وبدَّلوه، فهم أسوأ حالًا من الحمير؛ لأن الحمار لا فهمَ له، وهؤلاء لهم فُهومٌ لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: {أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} ". تفسير ابن كثير (117/8).

وشبَّهه بالكلب، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ}.

وقال ﷺ: (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ [أي: أمعاؤُه]، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ. فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا

لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ). رواه البخاري (3267)، ومسلم (2989).

وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَيَنْسَى نَفْسَهُ، كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ، وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ) رواه الطبراني (165/2) وصححه الألباني في صحيح الجامع (5831).

وقد تضافرت الآثار عن السلف الصالح في ذلك:

قال أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: " لَا تَكُونُ عَالِمًا حتى تَكُونَ مُتَعَلِّمًا، ولا تَكُونُ بِالْعِلْمِ عَالِمًا حتى تَكُونَ بِهِ عَامِلًا ". رواه الدارمي (293).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَحْسَنُوا الْقَوْلَ كُلُّهُمْ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ حَظَّهُ، وَمَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَإِنَّمَا يُوَبِّخُ نَفْسَهُ ". الزهد (179) لأبي داود.

وقال الحسن البصري: " الذي يفوق الناسَ في العلم جديرٌ أن يفوقَهم في العمل ". جامع بيان العلم وفضله (23/2).

وعنه في قوله تعالى: {وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ} قال: "عُلِّمْتُمْ فَعَلِمْتُمْ، ولم تعمَلوا، فو الله ما ذلكم بعلمٍ ". الموافقات (75/1).

وقال محمد بن المنكدر: " العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل ". اقتضاء العلم العمل (41).

وقال الفضيل بن عياض: " لا يزال العالم جاهلًا بما علم حتى يعملَ به، فإذا عمل به كان عالمًا ". اقتضاء العلم العمل (43).

وقال الشعبي: " كنا نستعينُ على حفظ الحديث بالعمل به ". التمهيد (18/22) لابن عبد البر.

ولله در القائل:

إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّةً عَلَيْكَ وَلَمْ تُعْذَرْ بِمَا أَنْتَ جَاهِلُهْ

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ عِلْمًا فَإِنَّمَا يُصَدِّقُ قَوْلَ الْمَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلُـهْ

الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (38/1) لسعيد بن علي بن وهف القحطاني.

ورحم الله من قال:

يا أَيُّهـا الرَجُـــلُ المُعَلِّـــمُ غَيـرَهُ هَلا لِنَفسِـكَ كانَ ذا التَعليـــمُ

تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضَّنا كيما يَصحَّ بِهِ وَأَنـــتَ سَقيمُ

وَتَراكَ تُصلِـــحُ بالرشـــادِ عُقولَنـا أَبَدًا وَأَنتَ مِنَ الرَّشـــادِ عَديـمُ

فَابْدَأْ بِنَفسِـكَ فانْهَهـا عَن غَيِّهـا فَـإِذا اِنتَهَـتْ عَنـهُ فأنتَ حَكيمُ

- والعلم النافع يحمل صاحبه على لزوم العبادة: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ لِأَيُّوبَ السختياني: " يَا أَيُّوبُ، إِذَا أَحْدَثَ اللَّهُ لَكَ عِلْمًا؛ فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً". تاريخ الإسلام (193/3).

لكن بعض طلبة العلم ينشغل عن نوافل العبادة، فلا يجعل لنفسه حظًّا من قيام الليل، ولا صيام النهار، ولا قراءة القرآن. بل إن بعضهم ينشغل عن بعض الواجبات، فيتأخر عن صلاة الجماعة بحجة أنه مشغول في طلب العلم!

وفي المقابل بعض الناس يجتهدون في الذِّكر، وقيام الليل، وأنواع العبادات مع إهمال طلب العلم، بل مع ازدراء طلب العلم.

فالأمر يحتاج إلى توازن بين نوافل العلم، ونوافل العبادة، وأما القدر الواجب من هذا وذاك؛ فلا يجوز التفريط فيه.

- فقد يكون الأفضل في حق الإنسان الاشتغال بنوافل العلم، وقد يكون الأفضل له الاشتغال بنوافل العبادات على حسب الحال:

قال الذهبي رحمه الله: " هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مُخْتَلَفٌ فِيْهَا: هَلْ طَلَبُ العِلْمِ أَفْضَلُ، أَوْ صَلاَةُ النَّافِلَةِ وَالتِّلاَوَةُ وَالذِّكرُ؟ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُخلِصًا للهِ فِي طَلَبِ العِلمِ، وَذِهنُه جَيِّدٌ، فَالعِلْمُ أَوْلَى، وَلَكِنْ مَعَ حَظٍّ مِنْ صَلاَةٍ وَتَعَبُّدٍ، فَإِنْ رَأَيتَه مُجِدًّا فِي طَلَبِ العِلْمِ لاَ حظَّ لَهُ فِي القُرُبَاتِ؛ فَهَذَا كَسلاَنُ مَهِيْنٌ، وَلَيْسَ هُوَ بِصَادِقٍ فِي حُسنِ نِيَّتِه. وَأَمَّا مَنْ كَانَ طَلَبُه الحَدِيْثَ وَالفِقْهَ غِيَّةً وَمَحبَّةً نَفْسَانِيَّةً، فَالعِبَادَةُ فِي حَقِّه أَفْضَلُ، بَلْ مَا بَيْنَهُمَا أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ، وَهَذَا تَقسِيْمٌ فِي الجُمْلَةِ، فَقَلَّ وَاللهِ مَنْ رَأَيتُه مُخلِصًا فِي طَلَبِ العِلْمِ! ". سير أعلام النبلاء (167/7).

- والعلم النافع هو الناتج عنه خشية الله: قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: " ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية ". الزهد (158/1) لأحمد بن حنبل.

وقال قَتَادَةُ: " كَانَ يُقَالُ: كَفَى بِالرَّهْبَةِ عِلْمًا ". تفسير الطبري (364/19).

وقال عَطَاءٌ: " مَنْ خَشِيَ اللَّهَ؛ فَهُوَ عَالِمٌ ". جامع بيان العلم وفضله (1544).

وقال حُذَيْفَةُ: " بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ ". أبو داود في الزهد (282).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: " الْعَالِمُ: مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغِبَ اللَّهُ فِيهِ، وَزَهِدَ فِيمَا سَخِطَ اللَّهُ فِيهِ ". ثُمَّ تَلَا الْحَسَنُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}. تفسير ابن كثير (545/6).

وقال عبد الله بن أحمد ابن حنبل: قلت لأبي: هل كان مع معروف الكرخي شيءٌ من العلم؟ فقال لي: " يا بني، كان معه رأس العلم: خشية الله تعالى ". تاريخ بغداد (202/13).

وقال الشافعي: " لَا يَجْمُلُ الْعِلْمُ وَلَا يَحْسُنُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِلَالٍ: تَقْوَى اللَّهِ، وَإِصَابَةِ السُّنَّةِ، وَالْخَشْيَةِ ". الآداب الشرعية (45/3).

قال الزرنوجي: " وإنما شرف العلم بكونه وسيلة إلى البر والتقوى، الذي يستحق بها المرء الكرامة عند الله، والسعادة والأبدية ". تعليم المتعلم طريق التعلم (ص12).

- وكما أن العلم يورث الخشية فالخشية تورث العلم أيضًا فما أجمل تلازم العلم والخشية، قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً}. قال ابن كثير رحمه الله: " من اتقى الله بفعل أوامرِه، وترك زواجره؛ وُفِّقَ لمعرفة الحقِّ من الباطل ". تفسير ابن كثير (43/4).

قال بعض العلماء: " إنَّ أَوْلَى ما يُسْتَنْزَلُ بِهِ فَيْضُ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ في تَحَقُّقِ الْوَاقِعَاتِ الشَّرْعِيَّةِ: طَاعَةُ اللَّهِ عز وجل، وَالتَّمَسُّكُ بِحَبْلِ التَّقْوَى، قال اللَّهُ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ}. وَمَنِ اعْتَمَدَ على رَأْيِهِ وَذِهْنِهِ في اسْتِخْرَاجِ دَقَائِقِ الْفِقْهِ وَكُنُوزِهِ، وهو في الْمَعَاصِي حَقِيقٌ بِإِنْزَالِ الْخِذْلَانِ عليه، فَقَدْ اعْتَمَدَ على ما لا يُعتَمَدُ عليه، {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} ". البحر الرائق (286/6) لابن نجيم.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم والخشية، وأن يجعلنا من أهل العلم النافع والعمل الصالح إنه سميع عليم.

## الوحدة الثانية : معينات طالب العلم:

الدرس الأول : طالب العلم والقراءة

الدرس الثاني : طالب العلم والكتب

الدرس الثالث: طالب العلم والتقنية

الدرس الرابع : التدرج في طلب العلم

الدرس الخامس: الرحلة في طلب العلم

# الوحدة الثانية: معينات طالب العلم:

## الدرس الأول من الوحدة الثانية: طالب العلم والقراءة

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فالقراءة والكتابة نعمتان عظيمتان من الله تعالى على بني الإنسان، قال ابن القيم: " تَأمل نعْمَة الله على الإنسان بالبيانين: الْبَيَان النطقي وَالْبَيَان الخطي، وَقد اعْتد بهما سُبْحَانَهُ فِي جملَة ما اعْتد بِهِ من نعمه على العَبْد، فَقَالَ فِي أول سُورَة أُنزِلت على رَسُول الله ﷺ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ". مفتاح دار السعادة (278/1).

إن أول كلمة نزلت من الوحي الإلهي: {اقْرَأْ} ألا يدل ذلك على أهمية القراءة؟

- وقد بلغ حب القراءة من العلماء مبلغا عظيمًا، ووردت في ذلك أخبار عجيبة:

قال بعض المحبين للقراءة: " إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم تناولت كتابًا من كتب الحِكَم، فأجد اهتزازي للفوائد، والأريحيّة التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعزّ التبيين أشدّ إيقاظًا من هدّة الهدم ". الحيوان للجاحظ (40/1).

فأين هذا من الذين ينامون كلما أمسكوا كتابا أو جلسوا في مجلس علم؟!

وَقيل لأبي بكر الْخَوَارِزْمِيّ رَحمَه الله عِنْد مَوته مَا تشْتَهِي؟ قَالَ: "النظرة فِي حَوَاشِي الْكتب" فضل حملة العلم الشريف (218/1).

وكان سلفنا وعلماؤنا رحمهم الله يقرءون في الكتب على كل أحيانهم:

فكان الخطيب البغدادي يمشي وفي يده جزء يطالعه، وكانوا يقرءون عند الاضطجاع، وينفلت الكتاب من يد أحدهم مرة أو مرتين أو أكثر فيعود إليه، فيأخذه، يسقط من النعاس ويعود إليه فيأخذه.

وكان البخاري رحمه الله يقدم له الطعام، طعام الإفطار مثلاً وهو يقرأ ثم تأخذه الخادمة بعد فترة، فتأخذ الطعام ولم يمسه، لم ينتبه أصلاً أن الطعام قد جاء، ثم يأتي وقت الغداء، فيوضع له الطعام وهو يقرأ، وتأتي بعد فترة فتأخذ الطعام ولم يمسه؛ لأنه لم يدر أن الطعام وضع، وبعضهم كان يجلس يقرأ في الظل فينحسر عنه، وتأتي عليه الشمس وهو لا ينتبه.

- وللقراءة فوائد عظيمة جدًّا:

- القراءة من أهم طرق طلب العلم الذي يعرف به المسلم كيف يعبد ربه.
- وبه يُحَصِّلُ ما ينفعه أيضًا من أمور دنياه.
- وقد أظهرت بعض الدراسات أن حوالي 70% من المعلومات التي يتعلّمها الإنسان تَرِدُ إليه عن طريق القراءة. أما الباقي، فيتعلّمه بالبحث والسؤال والتأمّل، والاستماع، والاستنتاج، والتجربة. وغير ذلك من المواقف الحياتية المختلفة.
- والقراءة غذاء للعقول والأرواح كما أن الطعام غذاء للأبدان.
- وهي نزهة ترفيهية تريح الروح من خلال تجوالها في بساتين الكتب وحدائقها الغَنَّاء.
- والقراءة الواعية هي سبيل الإبداع وتكوين المبدعين والمخترعين والأدباء والمفكرين.
- والأمم القارئة هي الأمم القائدة، والذين يقرؤون هم الأحرار؛ لأن القراءة والمعرفة تطرد الجهل والخرافة والتخلف.

- قال بعض الأدباء [عباس محمود العقاد]: " القراءة تضيف إلى عمر الإنسان أعمارًا أخرى ".
- وقد صدق فبالقراءة يطلع القارئ على تاريخ السابقين، وعلى أحوال المعاصرين من الأمم الأخرى في سائر بقاع الأرض، وهكذا تعد القراءة نافذة على الحياة!

كيف تكون قراءتنا واعية؟ لكي تكون القراءة مفيدة فلابد أن تكون واعية فكيف تكون قراءتنا واعية؟

- البدء بالمرحلة التأسيسية الأولية مع سلامة المعتقد: يعني أن تكون قراءاته الأولية تأسيسية ينتقي ماذا يقرأ في البداية، حتى يؤسس وعيًا يستطيع من خلاله أن يعرف بعد ذلك إذا قرأ في أي كتاب، هل هذا يتفق مع الإسلام، أم هو ضد الإسلام؟ يعني: أن ننقد ما نقرأ على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، وما نعرفه من الأدلة الشرعية ورصيدنا من الأحاديث الصحيحة.

- فبعض الناس عندهم عقدة، وهي الثقة بكل شيء مطبوع، أحياناً يعرض لك شخص من الناس فكرة خاطئة، تقول له: يا أخي! هذا الكلام خطأ، ومصادم للشريعة. يقول لك: هذا مكتوب في الكتاب، انظر! لو كان خطأ ما كانوا طبعوه.

- من القراءة الواعية أن نلاحظ التناقضات التي يقع فيها الكاتب أثناء الكتاب، وإن تباعدت المواضع، أحيانًا يأتي كاتب بفكرة في موضع، ثم يأتي بعكسها في موضع آخر، القارئ الواعي يحفظ ماذا قال هنا وماذا قال هنا، ثم تجده يراجع فيقول: عجبًا إنه كتب في البداية أشياء غير التي كتبها هنا، فأيهما هو الصحيح يا ترى؟

- ومن القراءة الواعية أيضًا: أن نقرأ لنُقَوِّم الأشخاص والكتب، وننصح بناء على ذلك الناس بها، والمسلم عندما يقرأ فإنه يكون متجردًا، فمن الخطأ مثلًا أن يصدر القارئ

حكمًا مسبقًا على أفكار الكتاب من خلال اسم المؤلف فقط، أو الناشر أو العنوان [ما لم تكن هذه الأشياء معروفة بالفساد ونشر الضلالات].

- ومن فوائد القراءة الواعية: أنها تكشف لنا خداع المضللين، الذين يقصون الكلام ليوافق أهواءهم، فمثلا: حديث الرسول ﷺ: (لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى) ويحذف: (اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ) لماذا يحذفها؟ لأن له غرضاً، لأنه يعتقد ببناء المساجد على القبور، فيحذف جزء الحديث.

أسباب نفور الناس عن قراءة الكتب الشرعية وعلاجها:

هناك بعض الأمور قد تعيق دون مواصلة القراءة فينبغي معرفتها ومعرفة كيفية معالجتها حتى نتوصل إلى القراءة الواعية ومن ذلك:.

- الاصطدام بالأمور الصعبة في أول الكتاب: كعدم معرفة المصطلحات المتكررة أثناء القراءة. وعلاجها: في معرفة اصطلاحات العلماء من خلال سؤال أهل العلم أو من خلال الكتب المخصصة لذلك.

وأيضًا ينبغي البدء في القراءة بالكتب المبسطة أو الأساسية قبل المراجع الكبيرة. فمثلا: من أراد القراءة في التفسير فليبدأ بزبدة التفسير من فتح القدير وهو عبارة عن كلمة ومعناها، مع أشياء أخرى إضافية مفيدة، ثم إذا أردت أن تتوسع تأخذ مثلاً تفسير ابن سعدي رحمه الله، الذي ليس فيه ذكر المرويات بالأسانيد التي تنفر بعض الناس، وكذلك أسلوبه مبسط وسهل، ثم إذا أردت تنتقل إلى تفسير ابن كثير ثم إلى غيره مما هو أطول وأصعب.

أما أن يبدأ الطالب الصغير بمثل تفسير ابن جرير فلا شك أنه سيمل.

- ومنها: أسلوب الكتاب وبلاغته المناسبة لعصر مؤلفه: أسلوب الكتاب الذي قد يكون مكتوباً بلغة ذلك العصر، ويناسب مستوى القارئ في ذلك العصر؛ قد لا يناسب عصرنا الحالي لاسيما لغير المتخصصين. والحل في مثل هذا أن تنتقي من الكتب ما هو أسهل أسلوبا وأوضح بيانًا.

- ومنها: كثرة الملل لدى القارئ: ومن الأمور التي تنفر الناس عن القراءة: الملل، أنه يقرأ نصف ساعة أو ساعة أو ساعتين وبعد ذلك يمل، فماذا يفعل؟ يستريح بين فترة وأخرى، يريح عينيه، يقوم يتحرك، حركة بسيطة، ثم يرجع إلى القراءة، ومن الأساليب أيضًا: أن يغير الكتاب الذي يقرأ فيه، أو يغير نوعية العلم الذي يقرأ فيه، كما ذكر عن ابن عباس رضي عنه أنه كان إذا ملّ قال: هاتوا دواوين الشعراء.

- ومنها: شرود الذهن أثناء القراءة وعدم التركيز: هناك نوعان من الشرود:

- شرود النظر والفكر معًا،
- وشرود الفكر فقط، فأحيانًا قد تقرأ والعين تنظر والقلب في وادٍ آخر، فهذا شرود الفكر القلب.

ومن الأمور التي تساعد على التركيز:

- المجاهدة والصبر وعدم الانشغال بالمؤثرات الخارجية. ولذلك إذا نظرت إلى قراءته ﷺ للقرآن وجدت فيها أمراً عجيباً، فمثلاً: كان إذا مر بآية تسبيح سبح، وإذا مر بآية عذاب استعاذ، وإذا مر بآية نعيم سأل الله.
- وينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يسمع نفسه فإن ما سمعته الأذن رسخ في القلب، ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرؤه.

- ومن الأمور المهمة التي تساعد على التركيز استخدام القلم أثناء القراءة: وهذه وصية مهمة نافعة إن شاء الله، استخدم القلم أثناء القراءة، إن كثرة التعليقات التي تكون موجودة على كتابك دالة على تركيزك وتفاعلك مع القراءة، واستعمال القلم عند القراءة لشد الانتباه والتعبير عن الموقف المقروء أو الاستيعاب يدل على الاستيعاب أصلاً.

إذا قرأت ورأيت أنك ملأت الصفحة بالكتابة فاعلم بأنك ناجح في الاستيعاب، وربط الجمل والأفكار، الكتابة على الهوامش، هامش الكتاب سواء كان الأعلى أو الجانبي أو الأسفل، ينبغي أن تكون التعليقات كأنها حوار بينك وبين الكاتب، وليس المقصود ما يفعله بعض القراء من رسم خرابيش، تفتح الكتاب تجد سيارة، طيارة، مثلثاً، دوائر، مكعبات!

- ومنها: ترقيم العناصر، والإشارة إلى أرقام الصفحات التي ذكرت فيها النقاط لها علاقة بهذه النقطة، وهذا يدل على أنك مستوعب، ولذلك يقول مثلاً: انظر صفحة كذا.. تقدم الكلام عن هذا الموضوع في صفحة كذا، فمعنى ذلك أنك متابع وأنك تربط بين هذه الفكرة والفكرة التي سبقت.

- ومنها: القيام بكتابة أسئلة، فأحيانًا الشخص يكتب سؤالاً على أساس أنه يقول: سأسأل عنه العالم كذا، أو يذكر نقطة فيكتب سؤالاً: هل يدخل فيها كذا.

- حاول أن تجعل كتابك ثريًّا: بعض الناس يثرون كتبهم، يصير الكتاب عنده يساوي أضعاف أضعاف قيمته في المكتبة، وليس عنده استعداد أن يعطيه لأحد لأنه يخشى عليه، لأن الكتاب صار ثميناً، كيف صار ذلك؟ مثلاً: إذا مر على قول ذكره الكاتب قال: للعلماء أقوال أخرى، ونقل من كتب أخرى الأقوال في الهامش، حديث مر عليه ذهب إلى كتب التصحيح والتضعيف وخرج الحديث وبين صحته: صحيح، انظر صحيح الجامع رقم كذا، تلخيص الحبير رقم كذا، وهكذا، ينقل درجة الحديث، أو يكتب نقداً لفكرة خاطئة، يقول:

وهم الكاتب هنا، والصحيح كذا، لأن فلاناً يقول من العلماء كذا.. ونحو ذلك... أو يصوب الخطأ المطبعي.

- ومنها: تلخيص الكتاب: فهذا يدل على استيعابه استيعابًا جيِّدًا. باختصار مع إضافات من محاضرة: "كيف تقرأ كتابًا؟".

نسأل الله تعالى أن يجعلنا {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} إنه قريب مجيب.

## الدرس الثاني من الوحدة الثانية: طالب العلم والحرفة

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فالكتابُ هو " النديم الكريم، والخِدْنُ الأمين، إن استنطقتَه أسمعَك، وإن استكفَيتَه أقنعَك، أنيقُ المنظر، طيبُ المَخْبر، جميل المشاهد، كثير المحامد، يملأ العيون قرة، والنفوس مسرَّة، مجاورته أحسن مجاورة، ومسامرته أحلى مسامرة، ومجالسته أنفع مجالسة، ومُؤانسته أمتع مُؤانسة ". مطالع البدور للغزولي (237/1) باختصار.

- من خلاله تجالس العلماء والصالحين، تقرأ سيَرهم، وتعرف أخبارهم.

قيل لعبد الله بن الْمُبَارك: أتجلس فِي الْبَيْت وَحدك وَلَا تجْلِس مَعنا؟ قَالَ: " مَا أصنع مَعكُمْ؟ أَنْتُم تغتابون النَّاس، مَا أَجْلِس إِلَّا مَعَ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ رَضِي الله عَنْهُم " يُريد مطالعة أخبارهم، وَالنَّظَر فِي سيرهم وآثارهم. صفة الصفوة (324/2).

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَان كِتَابُ

نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف (219/1).

وقال آخر:

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُـمْ أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدَا

يُفِيدُونَنَا مِنْهُمْ طَرَائِفَ حِكْمَةٍ وَلَا نَتَّقِي مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدَا

الآداب الشرعية والمنح المرعية (607/3).

- وقد كان للعلماء اهتمام عجيب بالكتب وشغف زائد بها: قال الحسن اللؤلؤي: " غبَّرت أربعين عامًا، ما قِلْتُ [أي: ما نمت وقت القليلولة]، ولا بِتُّ، ولا اتكأت إلّا والكتاب موضوع على صدري ". الحيوان للجاحظ (ص40).

وقال ابن الجوزي: "ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأني وقعت على كنز، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعدُ في الطلب ". صيد الخاطر (454/1) باختصار.

وكان ابن شهاب الزهري إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يومًا: والله لهذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر. وفيات الأعيان (178/4).

وقال الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: " قَالَتِ ابْنَةُ أُخْتِي لِأَهْلِنَا: خَالِي خَيْرُ رَجُلٍ لِأَهْلِهِ، لَا يَتَّخِذُ ضَرَّةً وَلَا يَشْتَرِي جَارِيَةً! قَالَ: تَقُولُ الْمَرْأَةُ [زوجته]: وَاللَّهِ لَهَذِهِ الْكُتُبُ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ثَلَاثِ ضَرَائِرَ " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (101/1).

ورُئي أبو العلاء الهمذاني في المنام في مدينةٍ جميعُ جدرانها من الكتب، وحوله كُتُب لا تُحَدُّ، وهو مشتغل بمطالعتها. فقيل له: ما هذه الكتب؟ قَالَ: سألت الله تعالى أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا، فأعطاني ". ذيل طبقات الحنابلة (278/2).

وَقال شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُكْنَى بِأَبِي بَكْرِ بْنِ سَمَاعَةَ: نَزَلَ عَلَيْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ [أحمد بن حنبل] فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَأَنَا غُلَامٌ، فَقَالَ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: الْزَمْ هَذَا الرَّجُلَ فَاخْدِمْهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ. فَكُنْتُ أَخْدُمُهُ، وَكَانَ يَخْرُجُ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ، فَسُرِقَ مَتَاعُهُ وَقُمَاشُهُ، فَجَاءَ، فَقَالَتْ لَهُ أُمِّي: دَخَلَ عَلَيْكَ السُّرَّاقُ، فَسَرَقُوا قُمَاشَكَ. فَقَالَ: مَا فَعَلْتِ بِالْأَلْوَاحِ؟ فَقَالَتْ لَهُ أُمِّي: فِي الطَّاقِ. وَمَا سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرَهَا " حلية الأولياء (179/9).

وجَمَع المستنصر بالله صاحب الأندلس [المتوفى: 366 هـ] من الكتب ما لا يُحَدُّ ولا يوصف كثرةً ونَفَاسةً، وكان يستجلب المُصَنَّفات من الأقاليم والنّواحي باذلًا فيها ما أمكن

من الأموال، حتّى ضاقت عنها خزائنه. وكان ذا غرام بها، قد آثر ذلك على لذّات الملوك. تاريخ الإسلام (254/8).

- كتب لا يستغني عنها طالب العلم: الكتب كثيرة ومتنوعة بحمد الله، ولابد لطالب العلم من شراء الكتب، لكن ثمَّ كُتُبٌ أساسية لا بد من وجودها في مكتبة أي طالب علم.

منها على سبيل المثال لا الحصر:

- في التفسير:
  - تفسير ابن كثير،
  - تفسير السعدي،
  - تفسير القرطبي.
- في العقيدة:
  - كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مع بعض شروحه كفتح المجيد،
  - الطحاوية مع شرحها،
  - الواسطية مع شرحها،
  - معارج القبول.
- في الحديث:
  - البخاري مع فتح الباري،
  - صحيح مسلم مع شرح النووي،
  - السنن الأربعة مع شروحها.
  - رياض الصالحين،

- جامع العلوم والحكم.

- في الفقه: على حسب المذهب ففي الحنبلي مثلا:
  - زاد المستقنع مع بعض شروحه،
  - المغني،
  - فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،
  - سبل السلام،
  - نيل الأوطار.
- في أصول الفقه:
  - روضة الناظر مع مذكرة الشنقيطي،
  - أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف،
  - إعلام الموقعين.
- في السيرة:
  - الرحيق المختوم،
  - سيرة ابن هشام،
  - زاد المعاد.
- في اللغة العربية:
  - الآجرومية مع شروحها،
  - قطر الندى،
  - ألفية ابن مالك مع أحد شروحها.
- في الأدب والرقائق:

- مختصر منهاج القاصدين،
- الآداب الشرعية لابن مفلح.

- في التاريخ:
  - البداية والنهاية لابن كثير،
  - التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر.

- قواعد في شراء الكتب: لابد من مراعاة قواعد ونصائح عند شراء الكتب منها:

- استشر أهل العلم والخبرة في الكتب، واسألهم عن الكتب النافعة، والطبعات الجيدة.
- لا تجعل معيار الشراء هو جمال التصميم أو جودة التغليف. واعلم أن عدد الصفحات قلة أو كثرة؛ لا تُعبِّر عن جودة الكتاب.
- فبعض المحققين ينفخ الكتب ويثقلها بالحواشي حتى تصير ضخمة جدًّا جدًّا، ومن العجائب في ذلك خروج أحد الكتب في ثمانية مجلدات مع المقدمة والفهارس، ومخطوطته الأصلية الكاملة والمعتمدة في التحقيق «73» ورقة!
- وأكثر ما تجد هذا النفخ في كثير من الرسائل العلمية [ماجستير ودكتوراة] حيث إثقال الرسالة بالحواشي غير الضرورية.
- إذا وجدت الكتاب الذي تريده؛ فلا تستكثر أي مال في شرائه، فليس شيء أنفس من الكتب تنفق فيه المال. قال الجاحظ: " ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ألذّ عنده من إنفاق عشّاق القيان، والمستهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغا رضيّا ". الحيوان (41/1).

تِلْكَ النَّفَائِسُ لَوْ تُبَاعُ بِوَزْنِهَا ذَهَبًا لَكَانَ الْبَائِعُ الْمَغْبُونَا

- احرص على اقتناء الكتب المحققة، للعلماء المحققين أمثال الشيخ أحمد شاكر والألباني وعبد السلام هارون وبكر أبو زيد.
- اقرأ الفهارس والمقدمة جيِّدًا جدًّا.
- اعتن بكتب النوازل الفقهية والعقدية.
- احرص على التنويع في شراء الكتب ولا تقتصر على فن واحد أو فنين.
- اشتر ما ينفعك ولا يكن همك مجرد تضخيم المكتبة والتفاخر بها كما قال تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}.
- بل إن بعض الناس يجعل المكتبة مجرد ديكور في البيت مثل بقية اللوح الفني والصور!
- ذهب رجل لدار نشر، وقال لصحابها: " يا فلان، المكتبة [أي: الخشبية] في بيتي لونها كذا؛ فاختر لي بعض الكتب التي تتناسب مع هذا اللون حتى أضعها في المكتبة!

- إعارة الكتب:

- لا تبخل بإعارة الكتاب لمن يحتاجه، ولا تكن من الذين يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ.
- قال ياقوت الحموي عن الحسن بن حمدون: " كان مع اغتباطه بالكتب ومنافسته فيها جوادًا بإعارتها، ولقد قال لي يومًا وقد عجبتُ من مسارعته إلى إعارتها للطلبة: ما بخلتُ بإعارة كتاب قطُّ، ولا أخذتُ عليه رهنًا. ولا أعلم أني مع ذلك فقدت كتابًا في عارية. فقلتُ: الأعمال بالنيات، وخلوص نيتك في إعارتها لله حفظها عليك ". معجم الأدباء (3/ 1014).
- مع مراعاة: أن يكون المستعير مستفيدًا من الكتاب الذي طلبه، ولا يكون متفكهًا بالطلب. وأن تكون على ثقة من إرجاعه الكتاب إليك.
- وأن تُعَلّم كتابك بعلامة من العلامات حتى لا يذهب عنك، كختمه بخاتمك.
- وأما إن كان المُستعير مُضيّعًا أو مستهترًا؛ فلا تُعطه كتابك.
- ومن الطرائف في ذلك: أن رجلا كان عنده مكتبة وكان لا يُعِير أحدًا منها شيئًا، فقال له ابنه يومًا معاتبًا: يا أبي، لماذا ترفض إعارة كتبك للناس؟ قال: يا بني، الكتب التي تراها كلها استعارة! [يعني أنه استعارها ولم يُعِدْها لأصحابها!].

**وأما المستعير فعليه آداب ينبغي أن يراعيها ومنها:**

- أن يصون الكتاب من كل ما يشينه. فبعض المستعيرين يترك الكتاب للأطفال يلعبون به ويُمزِّقُونه، ثم يقول لصاحب الكتاب بكل برود: سامحني يا أخي!
- اشكر من أعارك الكتاب، قال تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}، وقال ﷺ: (لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ). رواه أبو داود (4811)، والترمذي (1954)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (6601).

- وألا يبقي المستعير الكتاب عنده وقتًا طويلًا. قال بعض طلبة العلم: استعار مني طالب علم كتابًا، فمكث عنده قرابة ست سنوات، ثم طلبت منه الكتاب، فقال: اتركه لي يومين، أو ثلاثة؛ حتى أنتهي منه!
- وألا يتصرف بالكتاب الذي استعاره إلا بعد استئذان صاحبه، فمن العجائب: أن المستعير يعير الكتاب الذي استعاره إلى غيره، ثم يقوم الآخر بإعارته... وهكذا دواليك؛ حتى يضيع الكتاب ولا يدرى أين ذهب؟.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بكتب العلم النافع وأن يجعلها حجة لنا يوم نلقاه لا حجة علينا إنه سميع عليم.

## الدرس الثالث من الوحدة الثانية: طالب العلم والتقنية

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فإن الثورة الحديثة في عالم الاتصالات، والمواصلات، وتقنية المعلومات لا سيما في الحاسوب، والإنترنت، والأجهزة اللوحية قد بلغت مبلغًا هائلا جدًّا كان من الصعب مجرد تخيله في العهد القريب.

لذا فإن تعامل طالب العلم مع التقنية الحديثة أمر مهم ومُلِحٌّ للغاية؛ لا سيما أن وسائل تلقي العلم متنوعة منذ عهد السلف ما بين سماع وعرض ومناولة وإجازة ونحو ذلك.

وينبغي أن نعلم أن وسائل التقنية الحديثة ليست شرًّا محضًا، وليست خيرًا محضًا، بل فيها هذا وذاك، فالعاقل يستفيد بما فيها من خير، ويجتنب ما فيها من شر.

فمن ميزات استخدام التقنية الحديثة في طلب العلم:

- إمكانية الوصول إلى المعلومة،
- وسهولة الوصول إليها،
- وسرعة الوصول إليها [بضغطة زر "enter"]،
- وضخامة المعلومات المعروضة،
- وتنوعها ما بين مادة مقروءة ومسموعة ومرئية،
- سهولة التواصل مع المشايخ والعلماء حيثما كانوا. فيا للعجب قد يجلس طالب العلم في بكين عاصمة الصين، ويحضر مجلس علم يُبَثُّ مباشرة من الرياض أو جدة!

- ومن ميزاتها الكبيرة: تيسير طلب العلم على المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة. حيث يسهل على أحدهم استخدام الحاسوب أو الجهاز اللوحي، ولا يمكن له أخذ الكتاب الورقي من الرفِّ وفتحه، فضلا عن ذهابه إلى المكتبة العامة.
- كذلك هي مفيدة للمرأة، فتستطيع أن تتلقى العلم على أيدي العلماء الثقات وهي جالسة في بيتها!

ومن هذه التقنيات الحديثة:

- الحاسوب - الكمبيوتر: فيستفيد طالب العلم من الموسوعات العلمية الحاسوبية مثل موسوعة الحديث الشريف وجامع الفقه الإسلامي لشركة حرف، والموسوعة الشاملة وغيرها من البرامج النافعة.

- ميزات استخدام هذه الموسوعات في طلب العلم:

- إمكانية التخزين للمعلومات بكميات هائلة وخيالية، مع صغر المساحة المطلوبة لحفظها؛ فلا تحتاج إلى مكان واسع لذلك كما هو الحال مع الكتاب الورقي، فيمكن حفظ كميات ضخمة جداً من المعلومات في حيز صغير.
- سرعة البحث في أكبر كمية من الكتب فتبحث الموسوعة مثلا فيما يزيد على عشرة آلاف كتاب في ثوان معدودة! ولو حاول الباحث تصفح هذه الكمية يدويًّا؛ لفني عمره قبل أن يأتي على آخرها!
- التوفير المادي؛ حيث يحصل طالب العلم على عدد من الكُتُب المجانيّة، والتي لو اشتراها مطبوعة لكلفته الملايين.

- إمكانية نسخ جملة أو صفحة أو أكثر، ولصقها في ملفات البحث مباشرة؛ وإجراء الاختصار والتعديل والإضافة عليها وفق ما يريده الباحث.
- عدم الحاجة إلى غرف كثيرة ومكتبات لتخزين الكتب عليها بل توضع آلاف الكتب على قرص صلب [هارد ديسك] أصغر من حجم رسالة واحدة صغيرة.

وكما أن لهذه الموسوعات ميزات فلها عيوب وسلبيات أيضًا.

- ومنها: التصحيفات والسقط في بعض المكتبات الإلكترونية.
- ومنها: عدم تكوين تنمية الخبرة في التعامل مع الكتب، وعدم تربية ملكة البحث العلمي لدى الطالب؛ فهو يتعامل مع الموسوعة تعاملا آليًّا بحتًا بخلاف الذي يتعامل مع الكتاب الورقي.
- فمن خلال الموسوعة يصل إلى ما يريد عن طريق كلمة بحث أو جملة، بينما هو في البحث اليدوي يفكر، ويخمن في مظانِّ المعلومة، وخلال ذلك يقرأ الفهارس، ويطلع على طريقة ترتيب الكتاب.. وهكذا.
- ومنها: ضعف التوثيق العلمي، ولهذا فلا بد للمستفيد من هذه المكتبات الالكترونية من الرجوع للكتب الورقية الأصلية للتوثق من النص، والتثبت من السلامة من الخطأ، أو التصحيف ويمكن أن تكون الكتب المصورة (pdf) معينة على هذا التوثيق من خلال الأجهزة أيضا.

ومن التقنية الحديثة الضرورية لطالب العلم: الإنترنت:

فليس لطالب العلم غنى عن استخدامه من خلال محرك البحث جوجل وغيره من المواقع؛ وذلك لتوفير الوقت والجهد.

- كالوصول إلى بعض المسائل في المواقع الموثوقة أو تخريج الحديث من خلال الموسوعات التي على النت [كالدرر السنية مثلا].
- والحصول على الأبحاث العلمية من خلال الانترنت سهل ميسور، فأنت إذا أردت إعداد بحث في موضوع ما، فما عليك إلا أن تكتب عنوان البحث، فربما تجد عشرات الأبحاث قد كتبت في نفس الموضوع الذي تريده. ولذا فإن تأليف الكتاب وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراة أصبح أيسر إلى حدٍّ كبير في زمن الإنترنت.
- وكذلك الحصول على الكتب النادرة وغير النادرة ميسر من خلال الانترنت.
- والنهضة الحديثة في التعليم عن بعد حيث المعاهد العلمية بل الجامعات والأكاديميات التي تُعنَى بتدريس الطلاب عن بعد من خلال الإنترنت قد يسرت الدراسة جدًّا لطلبة العلم، لا سيما المشغولين بالوظائف، والأعمال الخاصة.

لكن ليحذر طالب العلم من الاعتماد على الشيخ "جوجل"، فمن السفه أن يأخذ المسلم فضلا عن طالب العلم دينه من أي موقع كان: منتدى أو مدونة أو صفحة على الفيس بوك! بل عليه أن يتوثق من الموقع الذي يأخذ منه المعلومة سواء كانت فتوى، أو تخريج حديث، أو نسبة قول إلى إمام، أو غير ذلك.

ومنها: الأجهزة اللوحية بأنواعها: آي باد آي فون... الخ.

حيث عليها كتب العلم المتنوعة، والبرامج والتطبيقات العلمية الهادفة، والمحاضرات والدورات العلمية وغير ذلك.

- وتتميز هذه الأجهزة على غيرها بأنها في كف طالب العلم حيثما حل وارتحل.
- ويحتاج إليها أكثر وأكثر طالب العلم غير المتفرغ، فيمكن أن يتعلم من خلالها في أثناء ذهابه إلى عمله، وأثناء عودته منه، وفي أوقات الفراغ.

- وإذا كان طالب العلم داعية فاحتياجه إليها أكثر حيث تسهل عليه مراجعة المحاضرات، ومراجعة أي معلومة يحتاجها في المحاضرة أو الدرس.

- ومنها: الفضائيات:

من فضل الله تعالى أنار في سماء الفضائيات عدد جيد من القنوات الإسلامية الهادفة، وفيها كثير من الدروس العلمية المتخصصة لكثير من العلماء، وأحيانًا كثيرة تقوم القنوات ببث المحاضرات من المساجد أو من الجامعات.

فهي أيضًا وسيلة جيدة لطالب العلم وهي أفيد وأهم للنساء حيث تصل إليهن المعلومة وهن جالسات في بيوتهن دون حاجة إلى تجشم الخروج في الطرقات.

وما زلنا نحتاج إلى المزيد والمزيد من القنوات الإسلامية العلمية والدعوية والتربوية؛ لنشر دين الله تعالى في الآفاق؛ لتحقيق البشارة النبوية الواردة في قول نبيّنا ﷺ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ). رواه أحمد (16509)، وصححه الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (112/1).

فالفضائيات الآن دخلت كل البيوت، فيجب الاستفادة منها في نشر الدعوة إلى الله تعالى، وفي تعليم العلم الشرعي الصحيح.

محاذير التقنية الحديثة التي يجب أن يحذر منها طالب العلم:

كما أن التقنية الحديثة يسرت الوصول إلى المعلومة؛ فلها أيضًا مخاطر يجب على طالب العلم أن يحذر منها:

- فقد جرأت غير المختصين، ومن قلّ حظهم من العلم الشرعي على التأليف، والتحقيق والفتوى أيضًا!

- ففي أسبوع أو أقل يُخْرِجُ مُؤَلَّفًا ما هو إلا قصٌّ ولصق من الموسوعة الشاملة أو غيرها!
- وأدت إلى تكبر بعض الجهلة وتعاليهم على العلماء، فطالب العلم الصغير المبتدئ قد يُخَرِّج حديثًا عن طريق الشاملة مثلا، ويصل إلى مصادر لم يصل إليها الألباني نفسه! فتسول له نفسه الأمارة بالسوء أنه صار أعلم من الألباني! وأين الثرى من الثريا؟

وثمَّ نصائح وتوجيهات لتحسين استخدام التقنية الحديثة في العلم الشرعية ومنها:

- إنشاء مراكز إسلامية علمية متخصصة تتعاون فيما بينها لإنتاج المزيد من الموسوعات العلمية الشرعية المفيدة والمنضبطة.
- تحري الدقة في التوثيق فيما ينتج من برمجيات في مجال الدعوة الإسلامية.

## الدرس الرابع من الوحدة الثانية: التدرج في طلب العلم وفقه الأولويات.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فالتدرج ومراعاة فقه الأولويات مبادئ أصيلة من مبادئ الشريعة الإسلامية، جاءت بها نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعمل بها الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان، كما أكدتها القواعد الشرعية.

والتدرج لغةً يقال: "درَّجَهُ إلى كذا تَدْرِيجا بمعنى: أدناه منه قليلًا قليلًا على التدريج". "كأَنَّما رَقَّاه مَنزِلَةً بعد أُخْرَى" تاج العروس (1 /1400). ودَرَجُ البناء: المراتب بعضها فوق بعض، وفي القرآن الكريم: {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ}.

والمقصود بالتدرُّج: تَقَدُّمُ بالإنسان شيئًا فشيئًا للبلوغ إلى غاية ما طُلب منه.

ومن المجالات التي يتأكد فيها التدرج ومراعاة الأولويات: طلبُ العلم، فإن العلم بحر عميق؛ ولذا نبه أهل العلم إلى ضرورة التدرج في طلبه، وأخذه جرعة جرعة.

عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِي:" يَا يُونُسُ، لَا تُكَابِرِ الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ أَوْدِيَةٌ، فَأَيُّهَا أَخَذْتَ فِيهِ قَطَعَ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ، وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، وَلَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ جُمْلَةً؛ فَإِنَّ مَنْ رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً وَلَكِنِ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ مَعَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ" جامع بيان العلم وفضله (431/1).

وقال ابن عبد البر: " طَلَبُ الْعِلْمِ دَرَجَاتٌ وَمَنَاقِلُ وَرُتَبٌ لَا يَنْبَغِي تَعَدِّيهَا وَمَنْ تَعَدَّاهَا جُمْلَةً فَقَدْ تَعَدَّى سَبِيلَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ " جامع بيان العلم وفضله (1129/2).

الْيَوْمَ شَيْءٌ، وَغَدًا مِثْلُهُ  مِنْ نُخَبِ الْعِلْمِ الَّتِي تُلْتَقَطْ

يُحَصِّلُ الْمَرْءُ بِهَا حِكْمَةً وَإِنَّمَا السَّيْلُ اجْتِمَاعُ النُّقَطْ

فالعلم مراتب:

1. فمنه فرض عين: أي: يجب على كل مكلف علمه، وهو تعلم المكلف ما لا يَتَأَدَّى الْوَاجِبُ الَّذِي تَعَيَّنَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ إِلَّا به ككيفية الوضوء وَالصَّلَاةِ وَنَحْوِهِمَا.

2- ومنه فَرْضُ كِفَايَةٍ: أي: إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين، وَهُوَ تَحْصِيلُ مَا لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ فِي إِقَامَةِ دِينِهِمْ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ كَحِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ وَعُلُومِهِمَا وَالْأُصُولِ، وَالْفِقْهِ، وَاللُّغَةِ، وَمَعْرِفَةِ رُوَاةِ الْحَدِيثِ.

3- ومنه نَفل: وَهُوَ كَالتَّبَحُّرِ فِي أُصُولِ الْأَدِلَّةِ وَالْإِمْعَانِ فِيمَا وَرَاءَ الْقَدْرِ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ فَرْضُ الْكِفَايَةِ. المجموع شرح المهذب (1/24-27) باختصار.

فمراعاة مراتب العلم وأولوياته من الضروريات، حتى إن القرآن العظيم لم ينزل دفعة واحدة، بل نزل مُفرَّقًا، قال تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} ومن الحكم في ذلك: التدرج في التشريع للتخفيف على الناس في تعلم الدين وتعليمه والعمل به.

إذًا لابد من الترفُّق في أخذ علم الدين، قال ﷺ: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ) رواه أحمد (27318)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2246).

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

قال ابن حبان رحمه الله: " الرافق لا يكاد يُسْبَقُ، كما أن العَجِلَ لا يكادُ يَلْحَقُ، والْعَجِلُ تصحبُه الندامةُ، وكانت العربُ تُكَنِّي العجلةَ: أُمَّ النَّدَامَاتِ ". روضة العقلاء (1/216) باختصار.

فلا بد من التدرج في العلم خطوة خطوة: قال ابن خلدون: " اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيدًا إذا كان على التّدريج شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلًا يلقى عليه أوّلا مسائل من كلّ باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ " مقدمة ابن خلدون (734/1).

إذا علمنا أن العلم يُؤْخَذ تدريجيًّا لا جملة، فبأيه نبدأ؟ لا بد من مراعاة الأولويَّات في التعلم كما هو الشأن في كل الدين:

فالبدء بالعلوم الأصلية قبل علوم الآلة: فالعلوم تنقسم إلى قسمين:

1- علوم أصلية: وهي التفسير والتوحيد والحديث والفقه.

2- علوم مساعدة (الآلة): وهي ما كان وسيلة إلى الوصول إلى العلوم الأصلية وهي: أصول التفسير أو ما يسمونه بعلوم القرآن، أصول الحديث أو ما يسمى بمصطلح الحديث، أصول الفقه والنحو وعلوم اللغة.

وأصل الأصول هو القرآن الكريم، ولذا لا تكاد تقرأ ترجمة عالم من العلماء إلا تجد في ترجمته: أنه حفظ القرآن في طفولته، وقد كان السلف عند تعليم أولادهم أول ما يبدؤون بحفظ القرآن، وتَعَلُّم معانيه، فروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كان الرجلُ منَّا إذا تعلمَ عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرفَ معانيهن والعمل بهن) جامع البيان (35/1).

قال ابن رجب: " وأما فقهاءُ أهلِ الحديثِ العاملُون به؛ فإنَّ معظمَ همِّهِمُ البحثُ عن معاني كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وما يُفسِّره من السننِ الصحيحةِ، وكلام الصحابةِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ، وعن سُنَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومعرفةِ صحيحِهَا وسقيمِهَا، ثم التفقهُ فيها وتفهمُها،

والوقوفُ على معانِيها، ثم معرفةُ كلامِ الصحابةِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ في أنواع العلومِ من التفسيرِ والحديثِ، ومسائلِ الحلالِ والحرامِ، وأصولِ السنةِ والزهدِ والرقائقِ، وغير ذلك" تفسير ابن رجب (458/1).

- والبدء بتعلم الفروض بأركانها وشروطها قبل تعلم النوافل: قال تعالى في الحديث القدسي: (مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ). رواه البخاري (6502). "وقد قيل: من شغله الفرض عَنِ النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عَنِ الفرض فهو مغرور " الأربعون الطائية صـ 65.

قال ابن الجوزي: " لينظر ما يحفظ من العلم؛ فإن العمر عزيز، والعلم غزير، وإن أقوامًا يصرفون الزمان إلى حفظ ما غيره أولى منه، وإن كان كل العلوم حسنًا؛ ولكن الأولى تقديم الأهم والأفضل. وأفضل ما تشوغل به حفظ القرآن، ثم الفقه ". صيد الخاطر (193/1).

وَقَدِّمِ الأَهَمَّ إِنَّ الْعِلْمَ جَمّْ وَالْعُمْرُ ضَيْفٌ زَارَ أَوْ طَيْفٌ أَلَمّْ

- والبدء بصغار العلم قبل كباره: كما قال تعالى: {... وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}. قال البخاري:" وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُونُوا رَبَّانِيِّينَ: حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ". وَالْمُرَاد بِصِغَارِ الْعِلْم: مَا وَضَحَ مِنْ مَسَائِله، وَبِكِبَارِهِ: مَا دَقَّ مِنْهَا.

وذلك حتى يسهل استيعاب العلم؛ فلا يعقل أن نُطعم الطفل الرضيع اللحم السمين، ولو فعلنا ذلك؛ لهَلَك، كما يقال: " طعام الكبار سمٌّ الصغار ".

قال ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن تشبيه النبي ﷺ للعالم بالقمر: "فيه تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يربى الوالد ولده، فيربونهم بالتدريج والترقي من

صغار العلم إلى كباره، وتحميلهم منه ما يطيقون، كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه" مفتاح دار السعادة (66/1).

كذلك طالب العلم لو بدأ بالمسائل الكبار قبل الصغار؛ هلك بالغرور، والعجب، والفتوى بدون علم.

- والبدء بالأسهل والأشد اختصارًا قبل المطولات: فيبدأ بقاعدة الهرم لا من رأسه، وقد كان الأئمة يعتنون بتدريس الطلاب المتون والمختصرات قبل المطولات.

- فمثلا: في التفسير:
  - نبدأ بتفسير السعدي،
  - ثم تفسير البغوي،
  - ثم تفسير ابن كثير.
- وفي العقيدة:
  - نبدأ بالأصول الثلاثة،
  - والقواعد الأربع ونواقض الإسلام،
  - ثم كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد،
  - ثم الطحاوية، ومعارج القبول.
- وفي الحديث:
  - نبدأ بالأربعين النووية مع أحد شروحها،
  - ثم عمدة الأحكام،
  - ثم بلوغ المرام.
- وفي الفقه:

- عمدة الفقه،
- ثم المقنع،
- ثم الكافي،
- ثم المغني، وكلها لابن قدامة على التدريج من المختصر إلى المطول شيئًا فشيئًا.

" وهذه عادة المتقدمين أنهم يضعون الفقه على مراتب، ولا يمكن لطالب العلم أن يضبط علم الفقه، ويكون فقيهًا بمعنى الكلمة إلا إذا ضبطه بهذه الطريقة، وهي التدرج في دراسته ". شرح زاد المستقنع لمحمد المختار الشنقيطي (19/1).

- ومن الأولويَّات في العلم: أولوية الفهم على مجرد الحفظ: فالمقصود: التفقه في الدين، لا مجرد حفظ المسائل، كما في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ}، وقال ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ). رواه البخاري (71)، ومسلم (1037).

- ومنها: تقديم العلم الذي يترتب عليه ثمرة، وعمل على العلم النظري الذي لا يترتب عليه شيء: فهناك من يشغل نفسه بقضايا لا تقدِّم ولا تؤخِّر، ويضيع وقته وأوقات الآخرين فيما لا ينفع، أو فيما ضرره أكبر من نفعه. فمثلا: مسألة: كيف كان يتعبد النبي ﷺ في الغار؟ " ما الفائدة من بحثها؟ وكيف السبيل إليها؟

قال ابن الجوزي: " قال أبو زرعة: كتب إلى أبو ثور: إن هذا الحديث قد رواه ثمانية وتسعون رجلًا عن رسول الله ﷺ، والذي صح منه طرق يسيره. فالتشاغل بغير ما صح يمنع التشاغل بما هو أهم. ولو اتسع العمر؛ كان استيفاء كل الطرق في كل الأحاديث غاية في الجودة؛ ولكن العمر قصير ". صيد الخاطر (443/1).

- ومنها: أولوية التعلم قبل التصدر للتعليم: من الأمثال المشهور: " فاقد الشيء لا يعطيه ". فلابد للإنسان قبل أن يُعَلِّم غيره أن يكون على دراية كاملة بما يُعَلِّمُه، وإلا كان إفساده أكثر من إصلاحه.

قال ابن المبارك رحمه الله: "أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر ". جامع بيان العلم وفضله (118/1).

- ومن الإشكاليات الكبيرة لا سيما في زمن الفضائيات: الاستعجال، والتصدُّر للتعليم والدعوة قبل التَّأهُل. فترى بعض الناس قبل أن يتعلم، وقبل أن يثني ركبتيه في مجالس العلماء يجلس لتعليم الناس أمام الشاشات، فيُفسد أكثر مما يصلح.

## الدرس الخامس من الوحدة الثانية: الرحلة في طلب العلم

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فمما لا شك فيه أن الرحلة في طلب العلم من الأمور العظيمة التي هي من أهم أسباب تحصيل العلم، وهذه الرحلة يختلف حكمها بحسب حال الشخص والعلم الذي يريد أن يتعلمه:

- فإن كان علْم فرضٍ لا يمكن تحصيله إلا بالرحلة، وجب عليه أن يرحل ويأثم لو لم يرحل، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. والله سبحانه وتعالى يقول: {فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ}. وقال ﷺ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ). رواه ابن ماجة (224)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3913).

- وقد تكون الرحلة مستحبة: إذا كانت للزيادة من علمٍ ليس بفرض تحصيله،

- وقد تكون مكروهةً إذا كان يمكن أن يكون في بلده ويحصل العلم فإذا رحل؛ تألّم أهله وأولاده للفراق.

- وقد تكون الرحلة محرمة: إذا كان فيها تضييعٌ للأولاد والأهل مع عدم وجود ما يوجب عليه الذهاب أو إذا قصد بالرحلة حب الظهور والشهرة، وأن يقال عنه: رحل للقاء فلان أو فلان، ويُعدّد المشايخ والبلدان ونحو ذلك.

- أهمية الرحلة في طلب العلم:

من المعلوم أن العلماء متفرقون في البلاد والأمصار، ليسوا مقيمين في مكان واحد، فمن أراد التضلُّع من العلم فعليه بالرحلة إلى الأمصار للأخذ عن العلماء وكذلك الجامعات الإسلامية.

فبالرحلة يلقى الطالب العلماء، ويسمع منهم العلم، ويعلو سنده، ويُنَوِّع في المشايخ، وفي مناهج الطلب، ويجدد نشاطه، ويضبط فهمه، وتزداد خبراته، كما قيل:

تَغرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلَى وَسَافِرْ، فَفِي الْأَسْفَار خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَرُّجُ همٍّ، وَاكْتِسَابُ مَعِيشَـــــةٍ وَعِلْمٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَاجِـــدِ

جواهر الأدب (490/2).

- وليس هناك شيء أشرف من العلم يرحل الإنسان في طلبه، بل هو سبيل للوصول إلى الجنة، قال ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ). رواه مسلم (2699).

وعَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {السَّائِحُونَ} قَالَ: " هُمْ طَلَبَةُ الْحَدِيثِ [أي: الذين يسيحون في الأرض ويرحلون في طلب الحديث]". الرحلة في طلب الحديث (11).

وقال الشَّعْبِيُّ: " لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَافَرَ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ، فَحَفِظَ كَلِمَةً تَنْفَعُهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُهُ مِنْ عُمُرِهِ رَأَيْتُ أَنَّ سَفَرَهُ لَا يَضِيعُ ". الرحلة في طلب الحديث (27).

- وكيف لا تكون الرحلة في طلب العلم شرفًا، وهذا موسى عليه السلام نبي كريم من أولي العزم من الرسل " رحل مسافة طويلة لطلب العلم، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك ".

تفسير السعدي ص482. قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}.

- وقد رحل الصحابة الكرام إلى النبي ﷺ في حياته لأخذ العلم منه، قَالَ مَالِكُ بْنُ الحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا [وفي رواية: اشْتَقْنَا] أَهْلَنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ. قَالَ: (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ...) رواه البخاري (631)، ومسلم (674).

- والرحلة في طلب العلم سنة متوارثة عن السلف الصالح:

فقد رحل بعض الصحابة لسماع حديث واحد: قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ. فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ. فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلًا [غير مختونين]...). رواه أحمد (15612)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (570).

ورحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة إِلَى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ في مصر، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَكَبَّرَ أبو أيوب، وَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ انْصَرَفَ. رواه أحمد (16940) وهو في السلسلة الصحيحة (2341).

وكذلك فعل التابعون ومَنْ بَعْدَهم: قال سعيد بن المسيب رحمه الله: " إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد ". الرحلة في طلب الحديث (128/1).

- وأما أخبار المحدثين في الرحلة في طلب الحديث فكثيرة عجيبة لا تكاد تجد لها مثيلا في الأمم الأخرى.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: " لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَطْلَبَ لِلْعِلْمِ مِنْهُ، رَحَلَ إِلَى الْيَمَنِ، وَإِلَى مِصْرَ، وَإِلَى الشَّامِ، وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَجَمَعَ أَمْرًا عَظِيمًا ". الرحلة في طلب الحديث (17).

وقَالَ مَكْحُوْل: " عُتِقْتُ بِمِصْرَ، فَلَمْ أَدَعْ بِهَا عِلْمًا إِلاَّ احْتَوَيْتُ عَلَيْهِ فِيْمَا أَرَى، ثُمَّ أَتَيْتُ العِرَاقَ، فَلَمْ أَدَعْ بِهَا عِلْمًا إِلاَّ احْتَوَيْتُ عَلَيْهِ فِيْمَا أَرَى، ثُمَّ أَتَيْتُ المَدِيْنَةَ، فَلَمْ أَدَعْ بِهَا عِلْمًا إِلاَّ احْتَوَيْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ الشَّامَ، فَغَرْبَلْتُهَا ". السير (158/5).

وقال أبو الْعَالِيَةِ: " كنا نَسْمَعُ الرِّوَايَةَ بِالْبَصْرَةِ عن أَصْحَابِ رسول اللَّهِ ﷺ، فلم نَرْضَ حتى رَكِبْنَا إلى الْمَدِينَةِ فَسَمِعْنَاهَا من أَفْوَاهِهِمْ ". رواه الدارمي (564).

وقال أبو حاتم الرازي: " خرجتُ في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيتُ ما مشيت على قدميَّ زيادة على ألف فرسخ [الفرسخ = 5544م] لم أزل أحصى حتى لمَّا زاد على ألف فرسخ تركتُه. سرتُ من الكوفة إلى بغداد ما لا أحصى، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشيًا، ومن مصر إلى الرملة ماشيًا...". الجرح والتعديل (360،359/1) باختصار.

وعنه رحمه الله قال: "ركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس، وكانت الريح في وجوهنا فبقينا في البحر ثلاثة أشهر، وفني ما كان معنا من الزاد، فخرجنا إلى البر، فمشينا ثلاثة أيام لم نأكل شيئًا ولا شربنا حتى ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والإعياء. فسقط أحدنا

مغشيًّا عليه، فتركناه ومشينا، فضعفتُ وسقطتُ مغشيًّا عليَّ، ومضى صاحبي وتركني، فأبصر سفينة فلوَّح بثوبه إليهم فجاءوه فسقوه، وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي قد ألقوا بأنفسهم مغشيًّا عليهم، فأركبونا وأحسنوا إلينا، فبقينا أيامًا حتى رجعتْ إلينا أنفسَنا " الجرح والتعديل (1/364،365).

## هل لا زالت الرحلة مطلوبة الآن؟!

فإن قال قائل: أليست الثورة الضخمة في عالم الاتصالات والإنترنت تُغني عن الرحلة في طلب العلم؟ فيُقال: نعم قد تيسر العلم بفضل الله، وتيسر الحصول على كثير من العلم عبر الإنترنت، لكن يبقى لقاء العلماء ومشافهتهم ومناقشتهم والتأدب بأدبهم من أعظم طرق تحصيل العلم.

قال الشاطبي وهو يتحدث عن فوائد أخذ العلم مشافهة من العلماء وحضور مجالسهم: "خَاصِّيَّةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ، يَشْهَدُهَا كُلُّ مَنْ زَاوَلَ الْعِلْمَ وَالْعُلَمَاءُ؛ فَكَمْ مِنْ مَسْأَلَةٍ يَقْرَؤُهَا الْمُتَعَلِّمُ فِي كِتَابٍ، وَيَحْفَظُهَا وَيُرَدِّدُهَا عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يَفْهَمُهَا، فَإِذَا أَلْقَاهَا إِلَيْهِ الْمُعَلِّمُ فَهِمَهَا بَغْتَةً، وَحَصَلَ لَهُ الْعِلْمُ بِهَا بِالْحَضْرَةِ... وَهِيَ مِنْ فوائد مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ؛ إِذْ يُفتح لِلْمُتَعَلِّمِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا لَا يُفْتَحُ لَهُ دُونَهُمْ، وَيَبْقَى ذَلِكَ النُّورُ لَهُمْ بِمِقْدَارِ مَا بَقُوا فِي مُتَابَعَةِ مُعَلِّمِهِمْ، وَتَأَدُّبِهِمْ مَعَهُ، وَاقْتِدَائِهِمْ بِهِ؛ فَهَذَا الطَّرِيقُ نَافِعٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ" الموافقات (1/145-147).

ومن جرَّب ثَنْيَ الرُّكَب في حِلَق العلم؛ يعلم علم اليقين الفرق الهائل بين مجالسة العلماء، وبين الاستماع منهم عبر الشاشات أو الانترنت فقط. وبقي أيضًا: الرحلة للالتحاق بالجامعات الإسلامية، والدراسة فيها.

هذا الكلام عن الرحلة في طلب العلم ينبغي فهمه مع الأخذ في الاعتبار بعض معوقات الرحلة في هذا الزمن: فمن الأمور والعوائق الموجودة في هذا الزمان: عدم التفرغ للرحلة، فالأوضاع لم تعد كما كانت في السابق، فالموظف مثلاً لا يستطيع أن يحصل على ما يحلو له من إجازة ليسافر كما فعل العلماء القدامى!

كذلك لو كنت طالباً في مدرسة أو جامعة لا تستطيع أن تترك المدرسة وتمشي أو تترك الجامعة وتمشي، فهذا يفوت عليك أشياء وربما حرمت من الدراسة وفصلت من الجامعة.. ونحو ذلك. بالإضافة إلى ذلك: ضيق الأمور المادية، وتشعب إجراءات السفر فالآن تحتاج إلى تأشيرات وجواز سفر، وتحتاج إلى تصديق وأختام وأشياء، وفي الحدود وفي المطارات.

فلابد من مراعاة الظروف الموجودة ولذلك من النصائح: أن تحصل العلم الموجود في بلدك أولاً.. هذا شيء مهم جداً وقد يكفيك عناءً كثيراً، فتأخذ العلم عن أهل بلدك ولا تذهب إلى البعيد وعندك قريب؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

فالرحلة ليست مطلوبة لذاتها وليست لشهوة؛ فإن السفر قطعة من عذاب، وليس من مصلحةٍ أن يترك أسرته وأولاده ويمشي إلا لشيء أعظم.

ونسأل الله تعالى أن يشرفنا بمعرفة العلماء الربانيين وطلب العلم على أيديهم إنه قريب مجيب.

## الوحدة الثالثة : أصناف الناس وطلب العلم

الدرس الأول: قواعد في طلب العلم لغير المتخصصين

الدرس الثاني: طالب العلم والحرفة

الدرس الثالث: طلب العلم في الكبر

الدرس الرابع: النساء وطلب العلم

# الوحدة الثالثة: أصناف الناس وطلب العلم.

## الدرس الأول من الوحدة الثالثة: قواعد في طلب العلم لغير المتخصصين.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فالعلم في الإسلام ليس حكرًا على طائفة معينة، ولا كهنوت في الإسلام، فكتب العلم متاحة للجميع وحلقات العلم في المساجد وغيرها مهيأة لاستقبال طلاب العلم أيًّا كان تخصصهم.

والمتخصص في غير العلوم الشرعية لا ينبغي أن يحرم نفسه من العلم الشرعي، بل الفرصة متاحة جدًّا للجمع بين الحسنيين، وتحصيل العلمين: العلم الشرعي، وعلم تخصصه كالطب والهندسة مثلًا.

قال ابن حزم: " من شغل نَفسه بِأَدْنَى الْعُلُوم، وَترك أَعْلَاهَا وَهُوَ قَادر عَلَيْهِ؛ كَانَ كزارع الذّرة فِي الأَرْض الَّتِي يجود فِيهَا الْبُرّ". الأخلاق والسير في مداواة النفوس (22/1).

فالذي يظن أن الإسلام لا يُخدَم إلا بطلاب العلم الشرعي المتخصصين؛ فنظرته غير صحيحة. ثم إن كثيرًا من هؤلاء الطلاب الذين يدرسون في الجامعات غير الشرعية عندما أقبلوا على التعلم وأحبوا دين الله كانوا سببًا لتنشيط العلماء والشيوخ ودفعهم إلى التدريس، بل إن لهؤلاء أثرًا بارزًا في إبراز دور الشيوخ والعلماء وتسليط الأضواء عليهم.

لكن لا شك أن المشغول بغير التخصصات الشرعية لا يملك من الوقت لدراسة العلم الشرعي مثل ما يملكه المتخصص فيه. لذا كان من المهم إبداء بعض القواعد أو النصائح لغير المتخصص في العلم الشرعي ليستفيد منها في طريقه لطلب العلم.

- فمن الواجب على كلِّ مسلمٍ: على المهندسِ والطبيبِ والمتخصصِ في الرياضيات والكيمياء والكمبيوتر وغيرها من الفنون، من الواجب عليه أن يتعلمَ ما تصحُّ به عقيدتُه، وما تصح به عبادتُه، وتعلم هذا المقدار من العلم فرض عين على كل مسلم، قال ﷺ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ). رواه ابن ماجة (224)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3913).

- عليه أن يبدأ بالكتب الميسرة، ثم ما بعدها تدريجيًّا: فلا يبدأ من قمة الهرم؛ حتى لا يفتر ويترك طلب العلم، مثلا: في دراسة التوحيد يبدأ بالأصول الثلاثة والواسطية، ثم كتاب التوحيد بأحد شروحه.

- وفي التفسير: تفسير الجلالين، أو زبدة التفسير، ثم تفسير السعدي..الخ.
- وفي الحديث: يبدأ بالأربعين النووية، ثم بالعمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام.
- وفي الفقه: عمدة ابن قدامة، ثم زاد المستقنع.
- وفي الأصول: الورقات مع شرحها لابن عثيمين، أو شرح الأصول من علم الأصول...وهكذا. أما أن يبدأ من النهاية بحجة أنه طبيب ويستطيع أن يفهم كل شيء؛ فمن الصعوبة بمكان أن يكمل.

عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ:" يَا يُونُسُ، لَا تُكَابِرِ الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ أَوْدِيَةٌ، فَأَيُّهَا أَخَذْتَ فِيهِ قَطَعَ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، وَلَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ جُمْلَةً؛

فَإِنَّ مَنْ رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً وَلَكِنِ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ مَعَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ" جامع بيان العلم وفضله (431/1).

- القرب من عالم: يسأله عما أشكل عليه من أمور دينه، ويستفتيه فيما يحتاجه من مسائل؛ عملا بقوله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. ويسترشده في طلب العلم، وفيما يقرأ، ويسمع.

- وعليه بمصاحبة طالب علم متخصص: يشرح له ما يشكل عليه فهمه؛ لأنه لن يتيسر له الجلوس مع العالم في كل وقت ولا الاتصال عليه في كل وقت.

فإذا صاحبَ طالب علم متخصص فاهم؛ شرح له ما يُشكل عليه، ودلَّه على بعض المعلومات المهمة المتعلقة بما يقرأه ويدرسه، ووفر له ما يحتاجه من الكتب والأشرطة ونحوها، ودله على المواقع المفيدة ونحو ذلك.

- وعليه الاهتمام بوسائل التقنية الحديثة: لعله يجد فيها بعض التعويض عن انشغاله عن حضور مجالس العلم في المساجد، أو الالتحاق بالكليات الشرعية.

- ولا بد من المواصلة والاستمرارية: فغير المتخصص يحتاج إلى الاستمرارية أكثر من المتخصص لأن الوقت المتاح عنده لطلب العلم قليل ولا يستطيع أن يحصل فيه الكثير من العلم إلا مع المواصلة والاستمرار. قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَعِيدٍ: " كَانَ رَجُلٌ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَعَزَمَ عَلَى تَرْكِهِ، فَمَرَّ بِمَاءٍ يَنْحَدِرُ مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ عَلَى صَخْرَةٍ قَدْ أَثَّرَ الْمَاءُ فِيهَا فَقَالَ: الْمَاءُ عَلَى لَطَافَتِهِ قَدْ أَثَّرَ فِي صَخْرَةٍ عَلَى كَثَافَتِهَا. وَاللَّهِ لَأَطْلُبَنَّ الْعِلْمَ، فَطَلَبَ فَأَدْرَكَ ". الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (1545).

يحكي أحد الحرفيين عن نفسه يقول: أحد الإخوة يحكي عن بداية طلب العلم، فيقول: كنت شابًّا أميًّا لا أعرف أي شيء غير أني صاحب ورشة لتصليح السيارات. حضرتُ يومًا

نِقاشًا بين مسلم ونصراني حول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فقلتُ: من عيسى هذا؟ ما هي بلدُه؟ ما هي صنعتُه؟ فقال النصراني لمن يُناقشه: انظر هذا مسلم ولا يعرف شيئًا عن عيسى بن مريم!

قال صاحب القصة: " فلما علمتُ أن عيسى نبيٌّ من الأنبياء خجلتُ من نفسي، وقرَّرْتُ أن أتعلم، فذهبتُ إلى مُحفِّظ القرآن في قريتي، واتفقتُ معه أن أذهب إليه يوميًّا؛ ليُعلمني. فصرتُ أذهب إليه كل يوم بعد أن أنتهي من عملي، وأغلق ورشتي، وبقِيتُ على هذا الحال سنةً كاملةً، لا أتخلَّفُ عن الدرس أبدًا مهما كانت الظروف. فعلَّمني أولا: حروف الهجاء ألف باء، ثم علمني القراءة والكتابة، ثم حفَّظني أجزاء من القرآن الكريم، ثم أصبحتُ بعد ذلك بفضل الله طالب علم أقرأ الكتبُ وأتعلَّم العلم النافع.

وصدق من قال:

وَإِذا كانَتَ النُّفُوسُ كِبارًا تَعِبَتْ فِي مُرادِها الأَجْسامُ الحماسة المغربية (2/ 1256).

- غير المتخصص يحتاج إلى عزيمة أشد من المتخصص: لأن المتخصص يوفر وقته ومجهوده على طلب العلم أما غير المتخصص فلعله يبدأ في طلب العلم بعد أن يكون قد أنهك أو كاد!

فالطبيب مثلا: يداوم في المستشفى منذ الصباح، وبعد العصر يكمل في عيادته الخاصة إلى وقت متأخر من الليل، ثم بعد ذلك يريد أن يقرأ في العلم الشرعي بالإضافة إلى الارتباطات الأسرية والاجتماعية! فلا شك أنه يحتاج إلى مجهود أكثر وعزيمة أشد.

قال بعضهم: رأيتُ بعضهم يشتغل في المصانع ليلًا عملًا شاقًّا جدًّا إلى الثامنة صباحًا، ثم يرجع إلى المسجد؛ لينام ساعتين من الزمن، ثم يهبُّ على تعب شديد إلى

الجامعة؛ ليدرس، ثم يرجع عصرًا إلى المسجد ليراجع علومه الدنيوية، ثم القرآن الكريم، ثم حلقات العلم الشرعي والدعوة إلى الله ".

- وغير المتخصص حينما يتوجه إلى دراسة العلوم الشرعية قد يتفوق على بعض المتخصص بأمرين: أحدهما أنه من البداية غالبًا يتمتع بالذكاء؛ فللأسف في بعض بلدان العالم الإسلامي توضَع المجاميع العالية للطب والهندسة والمجاميع المنخفضة للشريعة والدعوة واللغة، في خطة تهدف إلى صرف الناس عن دراسة دين الله والإجادة فيه.

ثم إن هؤلاء المتخرجين من الحقول الشرعية هم الذين يتولَّون المناصب الدينية؛ من الإمامة، والخطابة، والتدريس، والقضاء، والإفتاء، فتحدث الكارثة، وتعم المصيبة، وينعكس هذا سلباً بالطبع على تقبل الناس للدين وأهله.

والأمر الثاني أنهم أقرب إلى إتقان بعض الأبواب في العلوم الشرعية: فالطبيب مثلا قد يفهم الأبواب القريبة من تخصصه أكثر من بعض خريجي كلية الشريعة مثل الإجهاض والحمل، وما يتعلق به، والجراحات...ونحو ذلك.

قال القرافي: " وَكَمْ يَخْفَى عَلَى الْفُقَهَاءِ وَالْحُكَّامِ الْحَقُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِالْحِسَابِ والطب والهندسة؛ فَيَنْبَغِي لِذَوي الْهمم الْعَلِيَّةِ أَنْ لَا يَتْرُكُوا الِاطِّلَاعَ عَلَى الْعُلُومِ مَا أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ.

فَلَمْ أرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا  كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ الذخيرة (502/5).

والحمد لله العالم الإسلامي قديمًا وحديثًا مفعم بغير المتخصصين في العلوم الشرعية الذين تعلموا، بل صاروا علماء ودعاة إلى الله. مثل: الوزير ابن هبيرة؛ فلم تشغله الوزارة عن طلب العلم، وهي من أصعب المناصب وأكثرها شُغلا عن طلب العلم.

ونسأل الله تعالى أن ييسر لنا طلب العلم والفقه في الدين إنه سميع عليم.

## الدرس الثاني من الوحدة الثالثة: طالب العلم والحرفة

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فكما أن طلب العلم فريضة فالسعي على الأرزاق مطلوب شرعًا، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ}.

ومَرَّ على النبيِّ صلى اللَّهُ عليه وسلم رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جَلَدِهِ [أي: قوته] وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، لو كان هذا في سَبِيلِ اللَّهِ! فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى على أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى على نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ. وَإِنْ كان خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ في سَبِيلِ الشَّيْطَانِ). رواه الطبراني (129/19رقم292)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1428).

- وطلب العلم لا يتعارض أبدًا مع العمل والاحتراف الذي هو أطيب الكسب، سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَفْضَلِ الْكَسْبِ، فَقَالَ: (عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ). رواه أحمد (16814)، وصححه الألباني في الصحيحة (607).

فلأن يحترف طالب العلم حرفةً يستغني بها خير له من التعرض للناس، وخير له أيضًا من أن يبقى عالة على أبيه، أو على الأغنياء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ). رواه البخاري (1470)، ومسلم (1042).

فإن قال قائل: الوقت يضيق عن الجمع بينهما فكيف أفعل؟ فنقول له ما قاله رسول الله ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ). رواه مسلم (2664).

ثم عليك بالقليل من المذاكرة وطلب العلم مع المداومة كما قال رسول الله ﷺ لما سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (أَدْوَمُهُ، وَإِنْ قَلَّ). رواه مسلم (782).

فالقليل مع القليل كثير، كما قال القائل:

الْيَوْمَ شَيْءٌ، وَغَدًا مِثْلُهُ  مِنْ نُخَبِ الْعِلْمِ الَّتِي تُلْتَقَطْ

يُحَصِّلُ الْمَرْءُ بِهَا حِكْمَةً  وَإِنَّمَا السَّيْلُ اجْتِمَاعُ النُّقَطْ

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (14/1).

فلو داوم صاحبُ الصنعة على مذاكرة ساعة يوميًّا لمدة عام تجد أنه في نهايته قد حصل 365 ساعة مذاكرة، كل ساعة ذاكر صفحات؛ فيكون إجمالي ما ذاكرته آلاف الصفحات. فكيف لو ذاكر كل يوم: ساعتين، أو ثلاثا، أو أربعًا؟!

- وكيف تعوق الحرفة، أو العمل باليد عن العلم، أم كيف نستنكف عن الحرفة والعمل وقد قام بذلك الأنبياء؟

قَالَ ﷺ: (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ). فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: (نَعَمْ. كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ). رواه البخاري (2262).

قال الحافظ: " قَالَ الْعُلَمَاء: الْحِكْمَة فِي إِلْهَام الْأَنْبِيَاء مِنْ رَعْي الْغَنَم قَبْل النُّبُوَّة أَنْ يَحْصُل لَهُمْ التَّمَرُّن بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنَ الْقِيَام بِأَمْرِ أُمَّتهمْ، وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتهَا مَا يُحَصِّل لَهُمْ الْحِلْمَ وَالشَّفَقَةَ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيهَا، وَجَمْعهَا بَعْد تَفَرُّقهَا فِي الْمَرْعَى ". فتح الباري (441/4).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: " كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ ". رواه أحمد (24382)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (4937).

- ونبي الله داوود كان حدَّادًا: قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

قال ابن كثير: " قوله: {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ}: قال الحسن البصري: كان لا يحتاج أن يُدخلَه نارًا ولا يضربه بمِطرقة، بل كان يَفْتِلُهُ بيدِه مثلَ الخُيوطِ؛ ولهذا قال: {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ} وهي: الدروع. قال قتادة: وهو أوَّلُ من عمِلَها من الخَلْقِ، وإنما كانت قبل ذلك صفائحَ. {وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} قال مجاهد: لا تُدِقَّ المسمار؛ فَيقلَقَ في الحلقة، ولا تُغَلِّظه فيفصِمَها، واجعله بقَدْرٍ ". تفسير ابن كثير (6/497،498) باختصار.

وقال ﷺ: (ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا من أَنْ يَأْكُلَ من عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السَّلَام كان يَأْكُلُ من عَمَلِ يَدِهِ). رواه البخاري (1966). قال ابن حجر: " الْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ دَاوُدَ بِالذِّكْرِ أَنَّ اِقْتِصَاره فِي أَكْلِهِ عَلَى مَا يَعْمَلُهُ بِيَدِهِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَاجَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى ". فتح الباري (4/306).

وقال ﷺ: (كَانَ زَكَرِيَّا عليه السلام نَجَّارًا). رواه مسلم (2379). و" فِيهِ: جَوَازُ الصَّنَائِع، وأَنَّ النِّجَارَة لَا تُسْقِط الْمُرُوءَة ". شرح النووي على صحيح مسلم (15/135).

والعلماء المنسوبون إلى المهن الحرفية كثيرون جدًّا منهم على سبيل المثال:

- إِبْرَاهِيمُ بن ميمون الصَّائِغُ [أي: الحدَّاد] كَانَ إِذَا رَفَعَ الْمِطْرَقَةَ، فَسَمِعَ النِّدَاءَ سَيَّبَهَا [أي: ألقاها خلف ظهره، ولم يطرق بها]. سنن أبي داود (3254).
- محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي صاحب كتاب الشريعة: نسبة إلى عمل الآجُرِّ [وهو الطوب الذي يبنى به] وبيعه.
- محمد بن الطيب الباقلاني صاحب "إعجاز القرآن"، نسبة إلى بيع الباقلاء.
- أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصّاص صحاب " أحكام القرآن"، نسبة إلى العمل بالجصِّ [وهو الجبس أحد مواد البناء] وتبييض الجدران.
- أبو بكر عبد الله بن أحمد المروزي القفَّال الشافعي: نسبة إلى عمل الأقفال قال الذهبي: " حَذَقَ فِي صنعَة الأَقْفَال حَتَّى عَمل قُفْلاً بآلاَته وَمِفتَاحه، زنَة أَرْبَع حبَّات، فَلَمَّا صَارَ ابْنَ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً، آنَس مِنْ نَفْسه ذكَاءً مُفرطًا، وَأَحَبَّ الفِقْهَ، فَأَقبل عَلَى قرَاءته حَتَّى بَرَع فِيْهِ، وَصَارَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ، وَهُوَ صَاحِبُ طريقَة الخُرَاسَانيين فِي الفِقْه ". السير (406/17).
- عبد الله بن عون الخراز: نسبة إلى الخرازة، وهي خياطَة الْجلد.
- الإمام الثقة يحيى القطان [نسبة إلى بيع القطن ].
- أبو صالح السمان [نسبة إلى بيع السمن أو صنعه].
- حمزة الزيات أحد القراء السبعة [نسبة إلى بيع الزيت]
- أَحْمَدُ بنُ الخَلِيْلِ البزَّاز [الذي يبيع البزَّ، وهو القماش]
- يحيى بن إسماعيل الخوَّاص [الذي يصنع الأوعية من خوص النخل أي: سعفه]
- أَبُو إِسْحَاقَ الزجَّاج إمام النحو [الذي يصنع الآنية من الزجاج]، وغيرها.

تنبيه هام: ليس بالضرورة أن يكون العالم الذي اشتهر بالنسبة إلى المهنة أن يكون محترفًا لها، فقد يكون محترفًا لها، وقد يكون أحد آبائه من أهل هذه الحرفة وقد يكون مُجرَّد لقب، لكن على كل حال انتساب إمام من أئمة المسلمين إلى حرفة يدُلُّ على أنها لا تنقص من قَدْر العالم، وعلى نظرتهم الإيجابية للاحتراف.

ومن المعاصرين الشيخ الألباني رحمه الله كان في بداية أمره يعمل في إصلاح الساعات. وكثير من القائمين على الدعوة في زماننا أصلهم من خريجي الكليات المهنية كالطب، والهندسة وغيرهما.

والحمد لله ليس العلم في الإسلام حكرا على أحد، ولا يمنع منه أحد، ولا كهنوت في الإسلام. وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ). رواه الطبراني في الأوسط (2663)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2328).

## الدرس الثالث من الوحدة الثالثة: طلب العلم في الكبر

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فلا شك أن البدء بطلب العلم في الصغر والطفولة أفضل وأفسح للمجال للاستزادة من العمر في طلب العلم، كما قيل: " التعليم في الصغر كالنقش على الحجر".

ولكن ليس معنى هذا أن العلم حصري على الصغار، ويحرم منه كبار السن! فالمجال مفتوح لكل أحد كبيرًا كان أم صغيرًا، رجلًا أم امرأة لطلب العلم بل والنبوغ فيه.

وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ). رواه الطبراني في الأوسط (2663)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2328).

ولا يستحيي كبيرُ السن أن يثني ركبتيه في حِلَق العلم مع الشباب الصغار جنبًا إلى جنب فالإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى طلب علم القراءات على بعض المشايخ وهو يناهز الثمانين سنة، وكان زميله في الطلب ابنه يوسف وكان غلامًا صغيرًا. قال الذهبي: " أَتَى إِلَيْهِ ابْنه يُوْسُف، فَخَرَجَ، وَمَا ردّ مِنْ وَاسِط حَتَّى قرَأَ هُوَ وَابْنه بِتَلْقِينِهِ بِالعشر عَلَى ابْن البَاقِلاَّنِيّ، وَسنُّ الشَّيْخ نَحْو الثَّمَانِيْنَ، فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الهِمَّة العَالِيَة! ". السير (377/21).

قال مُجَاهِد: " لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ ". علقه البخاري في كتاب العلم باب "الحياء في العلم".

وَلما ذكر البخاري قول عُمَر رضي الله عنه: " تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا " علَّق عليه، وقال: " وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ ". صحيح البخاري (25/1).

وقال ابن جبرين رحمه الله: " متى تيسر للمسلم التعلم والتفقه: لزمه ذلك، ولا يجوز الاعتذار عن التعلم بتقدم السن؛ فإن الكثير من الصحابة تعلموا وهم شيوخ، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، والعباس، وابن عوف، وأبي عبيدة، وغيرهم، ثم من علماء التابعين من تعلموا في الكبر، كصالح بن كيسان. ولما كان طلب العلم قد يكون واجبًا على المسلم لم يخرج عن ذلك الكبير، ولا الصغير ". الإسلام، سؤال وجواب (553/8) باختصار.

بل إن كثيرًا من الصحابة ما دخلوا الإسلام أصلًا إلا بعد الكبر مثل حكيم بن حزام.

بكَى حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَهْ؟ قال: " خِصَالٌ كُلُّهَا أَبْكَانِي، أَمَّا أَوَّلُهَا فَبُطْءُ إِسْلامِي حَتَّى سُبِقْتُ فِي مَوَاطِنَ كُلُّهَا صَالِحَةٌ، ونَجَوْتُ يَوْمَ بَدْرٍ، ويَوْمَ أُحُدٍ، فَقُلْتُ: لا أَخْرُجُ أَبَدًا مِنْ مَكَّةَ ولا أُوضَعُ مَعَ قُرَيْشٍ مَا بَقِيتُ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ، ويَأْبَى اللَّهُ أَنْ يَشْرَحَ قَلْبِي بِالإِسْلامِ، وذَلِكَ أَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَقَايَا مِنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَسْنَانٌ مُسْتَمْسِكِينَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَقْتَدِي بِهِمْ، ويَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَقْتَدِ بِهِمْ، فَمَا أَهْلَكَنَا إِلا الاقْتِدَاءُ بِآبَائِنَا وكُبَرَائِنَا ". تهذيب الكمال (183/7).

- ثم أن يتعلم كبير السن ويتدارك ما فاته من العلم خير من أن يستمر على التفريط، ويموت على الجهل. قَالَ الْمَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لِلْمَأْمُونِ: أَيَحْسُنُ بِمِثْلِي أَنْ يَتَعَلَّمَ؟ فَقَالَ: " لأَنْ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمُوتَ قَانِعًا بِالْجَهْلِ ". الحث على طلب العلم (ص76).

- ولا ييأس ولا يحبط كبير السن فإن الله يكافئه على نيته ويوفقه: سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: بماذا تنصح من بدأ في طلب العلم على كبَر سنِّه؟ فقال: " ننصح هذا الرجل الذي يريد طلب العلم على الكبر أن يلزم شيخًا موثوقًا، ويأخذ منه؛ لأن ذلك أوفر له، ولا ييأس، ولا يقول: بلغت من الكبر عتيًّا؛ لأنه بذلك يحرم نفسه من العلم. وإذا علم

الله منك حسن النية منَّ عليك بالتوفيق؛ فقد تجمع الشيء الكثير ". فتاوى ابن عثيمين (204/26) باختصار.

- وعندنا نماذج طيبة من أئمة الحديث والفقه واللغة، ممن طلبوا العلم على الكبر، وصاروا أئمة بارزين في العلم.

- منهم: الفُضيل بن عياض: كَانَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ شَاطِرًا يَقْطَعُ الطَّرِيْقَ بَيْنَ أَبِيْوَرْدَ وَسَرْخَسَ، وَكَانَ سَبَبُ تَوْبَتِهِ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً، فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَقِي الجُدْرَانَ إِلَيْهَا، إِذْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُهُم لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}. فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَدْ آنَ. فَرَجَعَ، فَآوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى خَرِبَةٍ، فَإِذَا فِيْهَا سَابِلَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُم: نَرحَلُ. وَقَالَ بَعْضُهُم: حَتَّى نُصْبِحَ، فَإِنَّ فُضَيْلاً عَلَى الطَّرِيْقِ يَقْطَعُ عَلَيْنَا. قَالَ: فَفَكَّرْتُ، وَقُلْتُ: أَنَا أَسْعَى بِاللَّيْلِ فِي المَعَاصِي، وَقَوْمٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ هَا هُنَا يَخَافُونِي، وَمَا أَرَى اللهَ سَاقَنِي إِلَيْهِم إِلاَّ لأَرْتَدِعَ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ قَدْ تُبْتُ إِلَيْكَ، وَجَعَلْتُ تَوْبَتِي مُجَاوَرَةَ البَيْتِ الحَرَامِ. السير (423/8).

- ومنهم: ابن حزم الظاهري: قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مُحَمَّد وَالِد أَبِي بَكْرٍ بنِ العَرَبِي: " أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ حَزْمٍ أَن سَبَبَ تَعَلُّمه الفِقْه أَنَّهُ شَهِدَ جِنَازَة، فَدَخَلَ المَسْجَدَ، فَجَلَسَ، وَلَمْ يَركع، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: قُمْ فَصلِّ تحيَّة المَسْجَد، وَكَانَ قَدْ بلغَ سِتّاً وَعِشْرِيْنَ سَنَةً. قَالَ: فَقُمْتُ وَركعتُ، فَلَمَّا رَجَعنَا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى الجِنَازَة، دَخَلْتُ المَسْجَد، فَبَادرتُ بِالرُّكُوْع، فَقِيْلَ لِي: اجْلِسْ، اجْلِسْ، لَيْسَ ذَا وَقتَ صَلاَة وَكَانَ بَعْد العَصْر، قَالَ: فَانْصَرَفت وَقَدْ حَزِنْتُ، وَقُلْتُ لِلأُسْتَاذ الَّذِي رَبَّانِي: دُلنِي عَلَى دَار الفَقِيْه أَبِي عَبْدِ اللهِ بنِ دحُّوْنَ. قَالَ: فَقصدتُه، وَأَعْلَمتُه بِمَا جرَى، فَدلَّنِي عَلَى "مُوَطَّأ مَالِكٍ"، فَبدَأْتُ بِهِ عَلَيْهِ، وَتتَابعت قِرَاءتِي عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ نَحْواً مِنْ ثَلاَثَة أَعْوَام ". السير (199/18).

- ومنهم: المحدث مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المعروف بابن أبي ذئب: قال الذهبي: " كَانَ يَتَشَبَّبُ فِي حَدَاثتِهِ حَتَّى كَبِرَ، وَطَلَبَ الحَدِيْثَ، وَقَالَ: لَوْ طَلَبْتُ وَأَنَا صَغِيْرٌ، كُنْتُ أَدْرَكتُ المَشَايِخَ، فَفَرَّطْتُ فِيْهِم، كُنْتُ أَتَهَاوَنُ". السير (148/7).

- ومنهم: عز الدّين بن عبد السلام: ذكر السبكي أن الشَّيْخ عز الدّين بن عبد السلام كَانَ فِي أول أمره فَقِيرًا جدًّا وَلم يشْتَغل [يعني بالعلم] إِلَّا على كِبَر. وَسبب ذَلِك أَنه كَانَ يبيت فِي الكلاسة من جَامع دمشق، فَبَاتَ بهَا لَيْلَة ذَات برد شَدِيد فَاحْتَلَمَ فَقَامَ مسرعًا وَنزل فِي بركَة الكلاسة فَحصل لَهُ ألم شَدِيد من الْبرد، وَعَاد فَنَامَ فَاحْتَلَمَ ثَانِيًا، فَعَاد إِلَى الْبركَة، فسمع مناديًا: يَا ابْن عبد السَّلَام أَتُرِيدُ الْعلم أم الْعَمَل؟ فَقَالَ الشَّيْخ عز الدّين: الْعلم لِأَنَّهُ يهدي إِلَى الْعَمَل؛ فَأصْبح وَأخذ التَّنْبِيه فحفظه فِي مُدَّة يسيرَة وَأَقْبل على الْعلم. طبقات الشافعية الكبرى (213/8).

- ومنهم: أبو بكر عبد الله بن أحمد المروزي القفال الشافعي: قال السبكي: " كَانَ القفال رَحمَه الله قد ابْتَدَأَ التَّعَلُّم على كبر السن بَعْدَمَا أفنى شبيبته فِي صناعَة الأقفال، وَكَانَ ماهرًا فِيهَا ". طبقات الشافعية الكبرى (54/5).

وقال الذهبي: " حَذَقَ فِي صنعَة الأَقْفَال حَتَّى عَمل قُفْلاً بآلاَته وَمِفتَاحه، زنَة أَرْبَع حبَّات، فَلَمَّا صَارَ ابْنَ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً، آنَس مِنْ نَفْسه ذكَاءً مُفرطًا، وَأَحَبَّ الفِقْهَ، فَأَقبل عَلَى قرَاءته حَتَّى بَرَع فِيْهِ، وَصَارَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ، وَهُوَ صَاحِبُ طريقَة الخُرَاسَانيين فِي الفِقْه ". السير (406/17).

- ومنهم: علي بن حمزة الكسائي شيخ القراء والنُّحاة: قال الفرّاء: " إنما تعلّم الكِسائيُّ النَّحْو على كِبَر؛ لأنّه جاء إلى قوم وقد أعيا، فقال: قد عَيَّيْتُ. فقالوا له: تُجالِسُنا، وأنت تَلْحن؟ قال: وكيف؟ قالوا: إنْ أردت من التعب؛ فقل: أعييتُ، وإن أردت انقطاع الحيلةُ في

الأمر؛ فقل: عَيِيت. فأنِفَ من هذا، وقام وسأل عمَّن يعلّم النَّحْو، فأُرشِد إلى مُعاذ الهرّاء، فلزِمَه حتّى أنفد ما عنده، ثمّ خرج إلى الخليل. تاريخ بغداد (927/4).

- ومنهم: سيبويه شيخ النحاة: قدم البصرة ليكتب الحديث، فلزم حلقة حماد بن سلمة، فقال له حماد في بعض الأحاديث: لحنت يا سيبويه. فقال: سأطلب علمًا لا تُلَحِّنُني فيه. فلزم الخليل فبرع. طبقات النحويين واللغويين (66/1).

- ومنهم: عِيْسَى بنُ مُوْسَى البُخَارِيُّ المعروف بغُنْجَار: قَالَ الحَاكِمُ: " هُوَ إِمَامُ عَصرِهِ، طَلَبَ الحَدِيْثَ عَلَى كِبَرِ السِّنِّ، وَرَحَلَ ". السير (487/8).

- ومنهم: قَاضِيَ القُضَاةِ بِمِصْرَ الحَارِثُ بنُ مِسْكِيْنٍ الأُمَوِيُّ: قال الذهبي: " إِنَّمَا طَلَبَ العِلْمَ عَلَى كِبَرٍ". السير (54/12).

- ومنهم: أَصْبَغ بن الفَرَج المالكي مُفْتِي الدِّيَارِ المِصْرِيَّة، وَعَالِمُهَا، قال الذهبي: " طَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ شَابٌّ كَبِيْرٌ، فَفَاتَهُ مَالِكٌ، وَاللَّيْثُ ". السير (56/9).

- ومنهم: عبد الرحمن بن القاسم العتقي إمام المالكية: قال ابن وضاح: " سمع ابن القاسم من الشاميين والمصريين، وإنما طلب وهو كبير ". ترتيب المدارك وتقريب المسالك (248/3).

- ومنهم: سليم بن أيوب بن سليم أبو الفتح الرازيّ الفقيه الأديب: كان في أوّل أمره يطلب الأدب، ثم تفقه بعد الأربعين من عمره. إنباه الرواة على أنباه النحاة (70/2).

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن النية، وعلو الهمة؛ إنه سميع عليم.

## الدرس الرابع من الوحدة الثالثة: النساء وطلب العلم

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فقد جاء التكليف والجزاء في الإسلام للرجال والنساء جميعًا، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}.

وقال ﷺ: (النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ). رواه الترمذي (113)، وأبو داود (236)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1983).

وجاء القرآن في كثير من آياته لا يذكر صفة صالحة في الرجال إلا وذكر في جانبها النساء، كما قال جلّ شأنُه: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

وكذلك العلم، فللمرأة ثوابها وفضلها إنْ طلبت العلم وحرصت عليه، كما أن هناك واجبات عينية يلزم المرأة معرفتها، قال ابن حزم:" فرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك كالرجال ولا فرق" الإحكام في أصول الأحكام (82/3).

وقد فقه ذلك الصحابيات فطالبن بنصيبهن من مجالس علم الرسول ﷺ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ. فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: (مَا

مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ). فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: (وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ). رواه البخاري (102) ومسلم (2634).

- وكانت نساء الصحابة يطلبن العلم، ولا يمنعهن الحياء من طلب العلم، قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها: " نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ ". رواه مسلم (332).

- ومن حقوق الزوجة على زوجها والبنت على أبيها: تعلميهن أمر دينهن: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قَالَ: " عَلِّمُوهُمْ، وَأَدِّبُوهُمْ ". تفسير الطبري (103/23).

ولهم في ذلك الثواب العظيم عند الله، قال ﷺ: (ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْأَمَةُ، فَيُعَلِّمُهَا، فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا، ثُمَّ يُعْتِقُهَا، فَيَتَزَوَّجُهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ...). الحديث. رواه البخاري (3011)، ومسلم (154).

بوب عليه البخاري بقوله: " بَابُ تَعْلِيمِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ وَأَهْلَهُ " قال الحافظ: " مُطَابَقَةُ الْحَدِيثِ لِلتَّرْجَمَةِ فِي الْأَمَةِ بِالنَّصِّ، وَفِي الْأَهْلِ بِالْقِيَاسِ؛ إِذْ الِاعْتِنَاءُ بِالْأَهْلِ الْحَرَائِرِ فِي تَعْلِيمِ فَرَائِضِ اللَّهِ وَسُنَنِ رَسُولِهِ آكَدُ مِنَ الِاعْتِنَاءِ بِالْإِمَاءِ ". فتح الباري (190/1).

- والزوجة تعلم زوجها أيضًا إن كانت أعلم منه، ومن المواقف الطريفة في ذلك: ما روته أم المؤمنين عَائِشَةُ رضي لله عنها قَالَتْ: أَتَتْ سَلْمَى امْرَأَةُ أَبِي رَافِعٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسْتَأْذِنُهُ عَلَى أَبِي رَافِعٍ قَدْ ضَرَبَهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي رَافِعٍ: (مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَبَا رَافِعٍ؟). قَالَ: تُؤْذِينِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بِمَ آذَيْتِيهِ يَا سَلْمَى؟). قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا آذَيْتُهُ بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّهُ أَحْدَثَ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَحَدِهِمْ الرِّيحُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَقَامَ، فَضَرَبَنِي. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

يَضْحَكُ، وَيَقُولُ: (يَا أَبَا رَافِعٍ، إِنَّهَا لَمْ تَأْمُرْكَ إِلَّا بِخَيْرٍ). رواه أحمد (25807)، وجوَّد إسناده الألباني في الصحيحة (3070).

والتاريخ الإسلامي مفعم بالنساء اللاتي طلبن العلم، وبرزن فيه، وصرن فقيهات عالمات داعيات، فمنهن على سبيل المثال:

- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قال أَبو مُوسَى الأشعري رضي الله عنه: " مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا . أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . حَدِيثٌ قَطُّ، فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا ". رواه الترمذي (3883)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (3044).

وقال عطاء بن أبي رباح: " كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة ". رواه الحاكم (6748).

وقال عروة بن الزبير: " مَا رَأَيْت أَحَدًا أَعْلَمَ بِشِعْرٍ، وَلاَ فَرِيضَةٍ، وَلاَ أَعْلَمَ بِفِقْهٍ مِنْ عَائِشَةَ ". رواه ابن أبي شيبة (26567).

- وعَمْرَةُ بنت عبد الرحمن الأنصارية: كانت عمرةُ في حجر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأخذتْ عنها العلم الغزير؛ ولذلك فقد روى عنها جمع من كبار المُحدِّثين منهم: سليمان بن يسار، وعروة بن الزبير، ومحمد بن المنكدر، وابن شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم، وكفاها فخرًا وفضلًا أن يروي عنها هؤلاء العظماء!

قال الزهري: " قال لي القاسم بن محمد: أراك تحرِص علي العلم، أفلا أدلُّك على وعائه؟ قلت: بلى. قال: عليك بعمرة بنت عبد الرحمن؛ فإنها كانت في حجر عائشة، فأتيتها، فوجدتها بحرًا لا ينزف ". تذكرة الحفاظ (85/1).

- حَفْصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ أُمُّ الْهُذَيْلِ الْبَصْرِيَّةُ: قال إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا أُفضِّلُهُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، قَرَأَتِ الْقُرْآنَ وَلَهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، وَعَاشَتْ سَبْعِينَ سَنَةً، فذكروا له الحسن وابن سيرين، فقال: أما أَنَا فَلا أُفَضِّلُ عَلَيْهَا أَحَدًا.

وَقَالَ مَهْدِيُّ بنُ مَيْمُوْنٍ: " مَكَثَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ سِيْرِيْنَ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً لاَ تَخْرُجُ مِنْ مُصَلاَّهَا إِلاَّ لِقَائِلَةٍ، أَوْ قَضَاءِ حَاجَةٍ ". السير (507/4).

- بِنْت سَعِيد بْنِ الْمُسَيّبِ: لَمَّا دَخَلَ بِهَا زَوْجُهَا وَكَانَ مِنْ أَحَدِ طَلَبَةِ وَالِدِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخَذَ رِدَاءَهُ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: إِلَى أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ: إِلَى مَجْلِسِ سَعِيدٍ أَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ. فَقَالَتْ: لَهُ اجْلِسْ أُعَلِّمُكَ عِلْمَ سَعِيدٍ!. المدخل لابن الحاج (215/1).

- بِنْت الإمام مالك صاحب المذهب: كان طلاب العلم يقرؤون عليه الموطأ، فَإِنْ لَحَنَ الْقَارِئُ فِي حَرْفٍ، أَوْ زَادَ، أَوْ نَقَصَ تَدُقُّ ابْنَتُهُ الْبَابَ فَيَقُولُ أَبُوهَا لِلْقَارِئِ: " ارْجِعْ فَالْغَلَطُ مَعَك ". فَيَرْجِعُ الْقَارِئُ، فَيَجِدُ الْغَلَطَ. ينظر: المدخل لابن الحاج (215/1).

- زوجة الكاساني الحنفي: فاطمة بنت مُحَمَّد عَلَاء الدّين السَّمرقَنْدِي، أبوها أحد أعلام الأحناف له تصانيف منها: "تحفة الطالب"، كَانَت من حِسان النِّسَاء، حفظت تحْفَة أبيها، وخطبها جمَاعَة من مُلُوك بِلَاد الرّوم فَامْتنعَ والدها، فجَاء الكاساني وَلزِمَ والدها، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مُعظم تصانيفه، ومنها: "التُّحْفَة فِي الْفِقْه "، وشرحها في كتابه "بدائع الصنائع"، وَعرضه على شَيْخه؛ فازداد فَرحا بِهِ، وزوَّجه ابْنَته، وَجعل مهرهَا مِنْهُ ذَلِك، فَقَالَ الْفُقَهَاء فِي عصره: "شرح تحفتَه، وزوجه ابْنَتَه!".

كَانَت فاطمة تنقل الْمَذْهَب نقلا جيّدًا، وَكَانَ زَوجهَا الكاساني رُبمَا يهم في الْفتيا، فَتَرُدُّهُ إِلَى الصَّوَاب، وتُعرِّفه وَجه الخطأ فَيرجع إِلَى قَوْلهَا. وَكَانَت تُفْتِي وَكَانَ زَوجهَا يحترمها ويكرمها. وَكَانَت الْفَتْوَى أَولا يخرج عَلَيْهَا خطها وَخط أَبِيهَا السَّمرقَنْدِي، فَلَمَّا تزوجت بالكاساني كَانَت الْفَتْوَى تخرج عليها خَطُّ الثَّلَاثَة. وهي الَّتِي سنَّت تفطير الفقهاء بالمدرسة الحلاوية، كَانَ في يَديهَا سواران من ذهب، فباعتهما وعملت بِالثّمن الفطور كل لَيْلَة وَاسْتمرّ العمل على ذَلِك من بعدها. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (2/279،242).

- أُمُّ زَيْنَبَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبَّاسِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْبَغْدَادِيَّةُ: قال الحافظ ابن كثير: " كَانَتْ مِنَ الْعَالِمَاتِ الْفَاضِلَاتِ، تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُنْكِرُ على أَهْلِ الْبِدَعِ، وَتَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ! وَقَدْ كَانَتْ تَحْضُرُ مَجْلِسَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، فَاسْتَفَادَتْ مِنْهُ. وَقَدْ سَمِعْتُ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ يُثْنِي عَلَيْهَا، وَيَصِفُهَا بِالْفَضِيلَةِ وَالْعِلْمِ، وَيَذْكُرُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَحْضِرُ كَثِيرًا مِنَ " الْمُغْنِي " أَوْ أَكْثَرَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَعِدُّ لَهَا مِنْ كَثْرَةِ مَسَائِلِهَا، وَحُسْنِ سُؤَالَاتِهَا، وَسُرْعَةِ فَهْمِهَا.

وَهِيَ الَّتِي خَتَّمَتْ نِسَاءً كَثِيرًا الْقُرْآنَ، مِنْهُنَّ أُمُّ زَوْجَتِي عَائِشَةُ بِنْتُ صِدِّيقٍ، زَوْجَةُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ، وَهِيَ الَّتِي أَقْرَأَتِ ابْنَتَهَا زَوْجَتِي أَمَةَ الرَّحِيمِ زَيْنَبَ، رَحِمَهُنَّ اللَّهُ، وَأَكْرَمَهُنَّ بِرَحْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ، آمِينَ ". البداية والنهاية (18/141) باختصار.

- فاطمة بنت محمد بن أحمد التنوخية: خاتمة المسندين في دمشق، كانت عالمة بالحديث. أخذ عنها جماعة، منهم الحافظ بن حجر. الأعلام للزركلي (5/132).

- نضار بنت أبي حيان الأندلسي النحوي صاحب التفسير: سمعت من شُيُوخ مصر، وحفظت مُقَدّمَة فِي النَّحْو، وَخرجت لنَفسهَا جُزْءا، ونظمت شعرًا، وَكَانَت تعرب جيّدًا، وَكَانَ أَبوهَا يَقُول: لَيْت أخاها حَيَّان مثلهَا. كتب عَنْهَا الْبَدْر النابلسي، فَقَالَ: الفاضلة الكاتبة الفصيحة الخاشعة الناسكة، وَكَانَت تفوق كثيرًا من الرِّجَال فِي الْعِبَادَة وَالْفِقْه. الدرر الكامنة (161/6).

نسأل الله تعالى أن يُعلِّمنا ونساءنا وأهلينا {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}.

## الوحدة الرابعة: مزالق في طريق طلب العلم

الدرس الأول : طالب العلم وحفظ الوقت

الدرس الثاني : آفات طلب العلم ومعوقاته

الدرس الثالث : طلب العلم في زمن الانشغالات

الدرس الرابع : خطورة البقاء على الجهل

# الوحدة الرابعة: مزالق في طريق طلب العلم.

## الدرس الأول من الوحدة الرابعة: طالب العلم وحفظ الوقت

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فالزمن هو رأس مال الإنسان؛ إذ هو في الحقيقة عمر الإنسان، قال الحسن البصري رحمه الله: " ابنَ آدمَ، إنما أنت أيامٌ، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضك ". رواه أبو نعيم في الحلية (148/2).

ومن أهمية الوقت أقسم الله تعالى به في مواضع من كتابه، فقال: {وَالْعَصْرِ}، {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}.

وسوف نُسْأَلُ عنه، وعن عملنا فيه يوم القيامة، قَالَ ﷺ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟). رواه الترمذي (2417)، والدارمي (537)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (7300).

لذا حثنا رسول الله ﷺ على اغتنامه، فقال: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ). رواه الحاكم (7846)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1077).

وصدق من قال:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ  وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

وقال شوقي:

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي

ديوان أحمد شوقي (528/1).

قال ابن القيم: " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْعَبْدِ خَيْرًا أَعَانَهُ بِالْوَقْتِ، وَجَعَلَ وَقْتَهُ مُسَاعِدًا لَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ شَرًّا جَعَلَ وَقْتَهُ عَلَيْهِ، وَنَاكَدَهُ وَقْتَهُ. فَكُلَّمَا أَرَادَ التَّأَهُّبَ لِلْمَسِيرِ لَمْ يُسَاعِدْهُ الْوَقْتُ. وَالْأَوَّلُ كُلَّمَا هَمَّتْ نَفْسُهُ بِالْقُعُودِ أَقَامَهُ الْوَقْتُ وَسَاعَدَهُ ". مدارج السالكين (125/3).

- وقد ضرب لنا علماء السلف أروع الأمثلة في المحافظة على الوقت، واستغلاله في طلب العلم. قال ابن عقيل الحنبلي: " إني لا يحِلُّ لي أن أُضيِّعَ ساعةً من عمري حتى إذا تعطلَّ لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة أعملتُ فكري في حال راحتي وأنا منطرِحٌ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أُسَطِّرُهُ ". شذور الذهب (37/4).

وذكر ابن عقل في فنونه: " قَالَ حنبلي - يعني نفسه [وهذا من تواضعه وهضمه لنفسه]-: أنا أُقَصِّرُ بغاية جهدي أوقات أَكْلِي، حتى أختار سف الكعك، وتحسيه بالماء على الخبزة لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ؛ تَوفُّرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه ". ذيل طبقات الحنابلة (325/1).

وَكَانَ دَاوُد الطَّائِيُّ يَسْتَفُّ الْفَتِيتَ، وَيَقُولُ: " بَيْنَ سَفِّ الْفَتِيتِ وَأَكْلِ الْخُبْزِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةً ". صيد الخاطر ص492.

وقال موسى بن إسماعيل التبوذكي: " لو قلت لكم إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا لصدقتُ، كان مشغولًا إما يُحدِّث، أو يقرأ، أو يُسَبِّحُ أو يصلي، وقد قسم النهار على ذلك ".

وقال يونس المؤدب: " مات حماد بن سلمة وهو في الصلاة ". تاريخ الإسلام (149/10).

وقال ابن عساكر في سُلَيْمِ بْنِ أَيُّوبَ الرَّازِيّ: "حُدِّثت عَنهُ أَنه كَانَ يُحَاسب نَفسه على الأنفاس، لَا يدع وقتًا يمْضِي عَلَيْهِ بِغَيْر فَائِدَة: إِمَّا ينْسَخ، أَو يدرس، أَو يقْرَأ، وينسخ شَيْئا كثيرًا. وَلَقَد حَدَّثَنِي عَنهُ شيخنَا أَبُو الْفرج الإسفراييني أَنه نزل يَوْمًا إِلَى دَاره، وَرجع، فَقَالَ: قد قَرَأت جُزْءا فِي طريقي.

وعن المؤمل بن الْحَسَنِ أَنه رأى سُلَيمًا حفي عَلَيْهِ الْقَلَم فَإِلَى أَن قطَّهُ جعل يُحَرك شَفَتَيْه فَعلم أَنه يقْرَأ بِإِزَاءِ إِصْلَاحه الْقَلَم لِئَلَّا يمْضِي عَلَيْهِ زمَان وَهُوَ فارغ ". تبيين كذب المفتري (263/1).

وكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْخَيَّاطُ النَّحْوِيُّ يَدْرُسُ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ، حَتَّى فِي الطَّرِيقِ، وَكَانَ رُبَّمَا سَقَطَ فِي جَرْفٍ أَوْ خَبَطَتْهِ دَابَّةٌ. الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه صـ77.

وقال ابن القيم: " وأعرف من أصابه مرض من صداع وحُمَّى وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غلب وضعه. وحدثني شيخنا [يعني: ابن تيمية] قال: ابتدأني مرض، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض. فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك أليست النفس إذا فرحت قويت الطبيعة؛ فدفعت المرض؟ فقال: بلى. فقلت له: فإن نفسي تُسَرُّ بالعلم فتقوى به الطبيعة؛ فأجد راحة. فقال: هذا خارج عن علاجنا أو كما قال ". روضة المحبين (70/1).

ومن عجائب ذلك ما رواه محمد بن الفضل قال: سألني يحيى بن معين عن هذا الحديث [أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خرج وهو يتكئ عَلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَلَيْهِ ثَوْبٌ قِطْرِيٌّ قَدْ تَوَشَّحَ بِهِ فَصَلَّى بِهِمْ] أول ما جلس إليّ، فقلتُ: حدثنا حماد بن سلمة، فقال: لو كان من

كتابك؟!. فقمتُ لأخرج كتابي، فقبض على ثوبي، ثم قال: أَمْلِهِ عليَّ؛ فإني أخاف أن لا ألقاك!. [خشي أن يحدث أمر خلال هذه الدقيقة التي يدخل فيها الشيخ ويخرج فيحرم من الحديث!]

قال: فأمليته عليه، ثم أخرجت كتابي فقرأت عليه. رواه الترمذي في الشمائل (58)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (49).

- وفي علمائنا المعاصرين نماذج طيبة على خطا السلف الصالح، منهم الشيخ الألباني رحمه الله. ذهب الشيخ الألباني إلى مكة للعمرة، ثم ذهب إلى المكتبة العامة في حي الزاهر لمراجعة بعض المسائل، فانتهى الوقت، فقال القائم على المكتبة: يا شيخ نريد أن نغلق. قال: أغلق عليَّ، وارجع غدًا!.

وقال الألباني عن نفسه: " ومن توفيق الله تعالى وفضله عليَّ أن وجَّهني منذ أول شبابي إلى تعلم هذه المهنة [أي: مهنة إصلاح الساعات]، ذلك لأنها حرّة لا تتعارض مع جهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم – ما عدا الثلاثاء والجمعة – ثلاث ساعات زمنية فقط. وهذا القدر يمكنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعيالي وأطفالي على طريقة الكفاف طبعًا، فإن من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا) رواه الشيخان. وسائر الوقت أصرفه في طلب العلم، والتأليف، ودراسة كتب الحديث".

- ومن محافظة طالب العلم على الوقت عدم التسويف: قال النووي في آداب المتعلم: " ومن آدابه: أَنْ لَا يُسَوِّفَ فِي اشْتِغَالِهِ وَلَا يُؤَخِّرُ تَحْصِيلَ فَائِدَةٍ وَإِنْ قَلَّتْ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْهَا، وَإِنْ أَمِنَ حُصُولَهَا بَعْدَ سَاعَةٍ لِأَنَّ لِلتَّأْخِيرِ آفات ولأنه فِي الزَّمَنِ الثَّانِي يُحَصِّلُ غَيْرَهَا ". المجموع شرح المهذب (38/1).

- ومن المحافظة على الوقت: البعد عن البطالين الذين يُضَيِّعون الأوقات على العلماء وعلى طلبة العلم: قال ابنُ الجوزي: " لقد رأيتُ خلقًا كثيرًا يَجْرُونَ معي فيما قد اعتادَه الناس من كثرة الزيارةِ، ويُسَمُّون ذلك التردُّدَ خدمةً، ويطلبونَ الجُلوس، ويَجُرُّونَ فيه أحاديثَ الناس، وما لا يعني، وما يتخلَّلُه من غيبةٍ! فلمَّا رأيتُ أن الزمانَ أشرفُ شيءٍ، والواجبَ انتهابُه بفعل الخيرِ؛ كرهتُ ذلك، وبقيتُ معهم بين أمرين: إن أنكرتُ عليهم؛ وقعت وحشةٌ، وإن تقبَّلْتُه منهم؛ ضاع الزمان. ثم أعددتُ أعمالًا تمنع من المُحادثة لأوقات لقائِهم، فجعلتُ من المستعد للقائهم: قطع الكاغد [أي: الورق]، وبَرْيَ الأقلامِ، وحَزْمَ الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاجُ إلى فِكْرٍ، فأرصدْتُها لأوقاتِ زيارتهم، لئلا يضيعَ شيءٌ من وقتي. نسأل الله عز وجل أن يُعَرِّفَنا شرَف أوقات العُمُرِ، وأن يُوَفِّقنا لاغتنامه ". صيد الخاطر صـ240، 241 باختصار.

- ودخلوا على رجل من السلف، فقالوا: لعلنا شغلناك؟ فقال: أصدقكم، كنت أقرأ، فتركتُ القراءة لأجلكم. صيد الخاطر صـ492.

- ومن المحافظة على الوقت في طلب العلم: تنظيم الوقت في طلبه وتحصيله:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا، وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ..الحديث.

رواه البخاري (89)، ومسلم (1479)، وقد بوَّب علي البخاري بقوله:" باب التناوب في العلم".

- ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يشعرون بقيمة الوقت، فيهدرونه بلا فائدة، ويحتارون: في أي شيء نقتل أوقاتنا؟! ولذا يقول النبي ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ [أي: خاسر مخدوع] فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ). رواه البخاري (6412).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى اغتنام أوقاتنا فيما يرضيه؛ إنه قريب مجيب.

## الدرس الثاني من الوحدة الرابعة: آفات طلب العلم ومعوقاته

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فإن الشيطان توعَّد بني آدم أن يقعد لهم على الطريق المستقيم ليصرفهم عنه: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}.

عن ابن عباس: " {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} أُشكِّكُهم في آخرتهم، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} أرغبهم في دنياهم {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} أشبّه عليهم أمر دينهم {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} أُشَهِّي لهم المعاصي. تفسير ابن كثير (205/2).

وقد قعد لطلبة العلم على طريق العلم؛ ليصرفهم عنه، أو يصرف عنهم فائدته، ولذا نجد بعض الآفات تعرض لبعض طلبة العلم تعيقهم عن مواصلة المسير في طريق العلم الصحيح.

فمن هذه الآفات والمعوقات:

- الرياء: وهو أن يريد الطالب بطلبه للعلم الشهرة عند الناس ومدحهم وثناءهم، والجلوس أمام الكاميرات، ولا يريد به وجه الله نسأل الله العافية!

وصدق مَنْ قال: " حب الظهور قصم الظهور "، وقد بلغ حب الظهور ببعضهم قديمًا أنه بال في ماء زمزم في زمان الحجيج أمام الناس جميعًا، فقيل له: لم فعلت ذلك؟ قال: " أردتُ أن أُذْكَرَ ولو باللعنات!! ". أرشيف منتدى الألوكة (62570).

والرياء نوع من الشرك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: (الرِّيَاءُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ

يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا: هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟). رواه أحمد (1555)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1555).

ومن طرائف المرائين: أن أحدهم صلى، فقيل له: ما أحسن صلاتك! فقال: " ومع ذلك فإني صائم!". حدائق الأزاهر (53/1).

وإذا كان الرياء قبيحًا فهو في العلم أقبح، قال ﷺ: (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ؛ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ). رواه ابن ماجة (253)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (6382).

- ومن الآفات: الكِبْر والعُجب: قال تعالى في الحديث القدسي: (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي؛ فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ). رواه مسلم (2620).

وإذا تكبر طالب العلم وأُعجِبَ بنفسه؛ رفض الحق؛ لأنه يرى في قبوله الحق تقليلا من شأن نفسه، قال ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ). قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ [أي: احتقارهم]). رواه مسلم (91).

- وقد يمنعه غروره وعجبه من التعلم؛ لأنه يرى نفسه قد وصل إلى الغاية أو يرى نفسه أفضل من معلمه فكيف يأخذ عنه وهو يرى نفسه فوقه؟

قال مُجَاهِد: " لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ ". علقه البخاري في كتاب العلم باب "الحياء في العلم".

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي  كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

وكلما أعجب الإنسان أو تكبر؛ خُذِل، وكلما تواضع؛ وُفِّق في العلم والعمل، قال قتادة: " ما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته "، ثم قال: يا غلام هات نعليَّ. فقال: " هما في رجليك! ". حدائق الأزاهر (53/1).

وصعد ابن قتيبة يومًا للمنبر، وقال: يسألني من شاء عما شاء. فقام إليه أحد المغفلين، فقال له: ما الفتيل والقطمير؟ فلم يُحِرْ جوابًا، ونزل خجلًا، فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس لهما. حدائق الأزاهر (53/1).

قال الماوردي: " وَقَلَّمَا تَجِدُ بِالْعِلْمِ مُعْجَبًا وَبِمَا أَدْرَكَ مُفْتَخِرًا إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ مُقِلًّا وَمُقَصِّرًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَجْهَلُ قَدْرَهُ، وَيَحْسَبُ أَنَّهُ نَالَ بِالدُّخُولِ فِيهِ أَكْثَرَهُ. فَأَمَّا مَنْ كَانَ فِيهِ مُتَوَجِّهًا وَمِنْهُ مُسْتَكْثِرًا فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ بُعْدِ غَايَتِهِ، وَالْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ نِهَايَتِهِ، مَا يَصُدُّهُ عَنِ الْعُجْبِ بِهِ ". أدب الدنيا والدين (73/1).

- ومنها: الحقد والحسد: الحسد كراهة الإنسان ما أنعم الله به على غيره، وليس مجرد تمني زوال نعمة الله على الغير. ينظر: العلم لابن عثيمين صـ54.

والحسد موجود في بني آدم من قديم، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

وما كفر اليهود بنبينا محمد ﷺ مع علمهم يقينًا أنه رسول الله إلا للحسد. قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}.

والحسد موجود في أروقة العلم من قديم، قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} " أَيْ: بَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَاخْتَلَفُوا فِي

الْحَقِّ لِتَحَاسُدِهِمْ وَتَبَاغُضِهِمْ وَتَدَابُرِهِمْ، فَحَمَلَ بَعْضَهُمْ بُغْض البَعْض الْآخَرِ عَلَى مُخَالَفَتِهِ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَإِنْ كَانَتْ حَقًّا ". تفسير ابن كثير (25/2).

وقال بعضهم: " هلاك العلماء بحسدهم ". محاضرات الأدباء (65/1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وقد يبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله بعلم نافع أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقًا، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم ". اقتضاء الصراط المستقيم (83/1).

وإذا وقع طالب العلم في الحسد أدَّاه ذلك إلى عدة محاذير: فيقع في الغيبة والنميمة، ويقع في أعراض العلماء، وينقدهم ليس لأجل الوصول للحق بل لصرف الناس عنهم، وضياع الأوقات في الردود غير العلمية لمجرد التشفّي.

- ومنها: الانشغال بالدنيا: قد يظن طالب العلم أن الفقر عائق عن الطلب، وهذا ظنٌّ خاطئٌ، فكثرة المال والنعيم والرفاهية قد تكون هي العائق عن العلم في أحوال كثيرة، كما قال القائل:

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الْمَصِيفِ وَكَرْبُ الْخَرِيفِ، وَبَرْدُ الشِّتَا

وَيُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَأَخْذُكَ لِلْعِلْمِ قُلْ لِي مَتَى؟

قرى الضيف (470/3) لابن أبي الدنيا.

- ومن أخطر الآفات: التعالم والتصدر قبل التأهل: فنجد بعض طلاب العلم لم تنبت لحيته بعدُ، ومع ذلك يجرح ويعدل، ويُصحِّح ويُضعِّف، ويُحلل ويُحرِّم! إذا تصدر الطالب في طفولته العلمية دل ذلك على إعجابه بنفسه فهو يرى نفسه عَلَم الأعلام. ولزمه أن يقول على الله ما لا يعلم؛ لأن الغالب على المتعالم أنه يجيب على كل ما سُئِلَ عنه ولا يبالي. ينظر: كتاب العلم لابن عثيمين صـ61،62.

وإذا تصدر الطالب في طفولته العلمية تصدر على جهل، ولم يستطع أن يرجع للتعلم والتلقي؛ فضَلَّ وأضَلَّ؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " تَفَقَّهُوا قبل أَنْ تُسَوَّدُوا ". علقه البخاري في كتاب العلم باب "الاغتباط في العلم والحكمة".

روي أن أبا علي الفارسي اجتاز بالموصل، فمرَّ بالجامع وأبو الفتح ابن جني في حلقة يُقْرِئ النحوَ وهو شابٌّ، فسأله أبو علي عن مسألة، فقصَّر فيها، فقال له أبو علي زَبَّبْت وأنت حصرم [أي: صرت زبيبًا وأنت عنب أخضر صغير]. فسأل عنه، فقيل له: هذا أبو علي الفارسي، فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف، فما أحد أعلم منه به، ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه. معجم الأدباء (466/3).

- ومن الآفات: الفتور: من طبيعة النفس أن تنشط أحيانًا وتفتر أحيانًا، كما قال ﷺ: (إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ؛ فَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ). رواه أحمد (6725)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2152).

فالفتور المقبول: أن يفتر ساعات أو أيامًا، وينشغل وقتها في الترفيه المباح؛ حتى يستعيد نشاطه. أما أن ينشط ساعات، ويفتر سنوات، ويريد كل يوم رحلة وكل ساعة نزهة فهذا لا ينفع في طلب العلم. وأما أن يفتر إلى المحرمات أو يترك العلم بالكلية فإنا لله وإنا إليه راجعون!

- ومن الآفات: تطفل غير المتخصصين: فنجد كثيرًا من الدعاة لمجرد امتلاكه موهبة حسن الإلقاء وحسن الصوت يفتي في النوازل مع أنه لم يدرس الفقه ولا الأصول! وقد قال العلماء: " من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب ".

فكيف إذا أفتى الطبيب والمهندس الذي ليس له أي صلة بأي علم من علوم الشريعة؟! فكيف إذا أفتى الحداد والنجار الذي لا يحسن قراءة الفاتحة؟! فكيف إذا أفتت المغنية والراقصة؟!

## الدرس الثالث من الوحدة الرابعة: طلب العلم في زمن الانشغالات

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فالحياة الدنيا هي دار لهو ولعب وغرور، وانشغال بما لا يفيد عما يفيد، قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}.

انشغالات كثيرة متنوعة جدًّا بتنوع الشواغل في زحمة الحياة.

- فمنها: انشغالات مبررة من جهلة الأصل، فالبعض مشغول بكسب قوت عياله، من عمل أصلي إلى عمل إضافي، ومن هنا إلى هناك لتحصيل لقمة العيش ومصاريف المدارس، وتسديد الفواتير التي لا تنتهي!

- ومنها: انشغالات مبررة من جهة الأصل، لكنها غير مبررة من جهة المقدار كالانشغال بالأسهم والتجارات الواسعة ليل نهار، والتصدير والاستيراد، والشحن والتفريغ! حتى أن بعضهم يضع سماعة الهاتف في الخلاء لأنه لا يستطيع الانقطاع عن الهاتف حتى في فترة قضاء الحاجة!

- ومنها: انشغالات غير مبررة أصلًا: كالانشغال بالألعاب الالكترونية وغير الالكترونية، والسهرات الشبابية وغير الشبابية والفردية والجماعية، وكثرة الأسفار السياحية.

كان يحيى بن يحيى الليثي في مجلس مالك مع جماعة من أصحابه، فقال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه، ولم يخرج يحيى. فقال له مالك: ما لَكَ لا تخرج فتراه لأنه لا يكون بالأندلس؟ فقال: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم

من هديك وعلمك، ولم أجئ لأنظر إلى الفيل. فأعجب به مالك، وسمَّاه عاقل أهل الأندلس. وفيات الأعيان (144/6).

وقال أَبو طَاهِرٍ السِّلَفِيّ: " لِي سِتُّوْنَ سَنَةً بِالإِسْكَنْدَرِيَّة مَا رَأَيْتُ منَارتهَا إِلاَّ مِنْ هَذِهِ الطَّاقَة ".

وَأَشَارَ إِلَى غُرفَة يَجْلِس فِيْهَا. السير (22/21). مع أن هذه المنارة كانت من عجائب الدنيا في زمنها، لكن لا يخرجون للعبث وتضييع الأوقات.

- وما أكثر الأشغال الفارغة في عالم الإنترنت والفضائيات والهواتف الذكية واللوحيات! كشف مسح صيني أن أكثر من أربعة ملايين مراهق يقضون أكثر من ست ساعات يوميًّا في تصفح "الإنترنت".

قال بعض الشباب: قضيتُ ثلاثة أيام متواصلة [72 ساعة] أمام الإنترنت لا يفصلني إلا الصلاة، أو دخول الحمام! مكالمات بالساعات الطويلة جدًّا بلا فائدة، ويشجعهم على ذلك العروض المجانية من شركات الجوال!

- انشغالات في متابعة مباريات كرة القدم بشكل جنوني وأسفار ورحلات لمشاهدة المباريات!

إِذَا كُنْتَ تَجْرِي وَرَاءَ الْكُرَةْ ... وَتَجْذِبُكَ الشَّاشَةُ الْمُبْهِـرَةْ
وَيُلْهِيكَ نَادٍ وَأَلْفُ صَدِيقٍ ... تَبَارَوْا عَلَى النِّتِّ فِي الثَّرْثَرَةْ
فَأَخْذُكَ لِلْعِلْمِ قُلْ لِي مَتَى ... وَقُلْ لِي مَتَى حِصَّةُ الآخِرَةْ؟

- إنشغالات من قبل أنفسنا وأخرى من قبل أعدائنا: فالأعداء يريدوننا أن نبقى دائمًا غرقى في الألعاب واللذات والشهوات والجهل والتخلف حتى نبقى أذيالا تابعين لهم مُنهزمين أمامهم.

ولذلك لا نستغرب أنهم ينفقون الملايين على إنتاج لعبة تُلعب على الكمبيوتر أو الإنترنت فيكفيهم ثمرة إشغال مئات الملايين من المسلمين فيما لا يفيد. واسأل أصحاب لعبة المزرعة التعيسة [المسماة: المزرعة السعيدة] كم يتابعها من الناس؟ وكم تضيع من الأوقات؟

- وفي مقابل هذا الزخم الهائل في هذه الأشياء الفارغة التي أكلت الأوقات، وقتلت الأعمار نجد حِلَقَ العلم في المساجد فارغة!

إِذَا رَأَيْتَ شَبَابَ الْحَيِّ قد نَشَئُوا ... لَا يَنْقُلُونَ قِلالَ الْحِبْرِ وَالْوَرَقَا

وَلا تَرَاهُمْ لَدَى الأَشْيَاخِ فِي حِلَقٍ ... يَعُونَ مِنْ صَالِحِ الأَخْبَارِ مَا اتَّسَقَا

فَدَعْهُمْ عَنْكَ وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ هَمَجٌ ... قَدْ بَدَّلُوا بِعُلُوِ الْهِمَّةِ الْحُمُقَا

أدب الإملاء والاستملاء (153/1).

لكن كيف نطلب العلم في زمن الانشغالات؟:

سؤال مهم والإجابة عليه في غاية الأهمية، ومهما كان الوقت ضيِّقًا والأشغال كثيرة فالفرصة متاحة لطلب العلم وما لا يدرك كله لا يترك جُلُّه، وقد قال ﷺ: (سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا [أَيْ: إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا الْأَخْذ بِالْأَكْمَلِ فَاعْمَلُوا بِمَا يُقَرِّب مِنْهُ. فتح الباري (59/1)]، وَأَبْشِرُوا). رواه البخاري (39).

وهناك معالم ونصائح مفيدة في هذا الأمر:

- أما الأشغال الباطلة والمحرمة والمضيعة للأوقات كمتابعة الأفلام والمسلسلات؛ فيجب الإقلاع عنها فورًا. وإذا تركناها انفسح لنا وقت طويل جدًّا لطلب العلم.

- وأما الأشغال الضرورية في الوظائف والأعمال والسعي على الأرزاق فلن يعدم الطالب الصادق حيلة أو تدبيرًا يُوَفِّر عليه بعض الوقت لطلب العلم.

- فمنها: القناعة والرضا باليسير: قال ﷺ: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ). رواه مسلم (1054). ونحن نعلم يقينًا من أنفسنا أن كثيرًا من مصاريفنا في الكماليات والترفيهيَّات، ولو اقتصرنا على الضروريات والحاجيات مع قليل من الكماليات لوفَّرْنا كثيرًا من المصاريف، وبالتالي وفَّرْنا وقت العمل وتفرغنا لطلب العلم.

قال الشيخ الألباني رحمه الله عن نفسه: " من توفيق الله تعالى وفضله عليَّ أن وجَّهني منذ أول شبابي إلى تعلم مهنة إصلاح الساعات، ذلك لأنها حرّة لا تتعارض مع جهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم، ما عدا الثلاثاء والجمعة: ثلاث ساعات زمنية فقط.

وهذا القدر يمكنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعيالي وأطفالي على طريقة الكفاف طبعًا، فإن من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا). رواه البخاري (6460)، ومسلم (1055). وسائر الوقت أصرفه في طلب العلم، والتأليف، ودراسة كتب الحديث ". طلب العلم في زمن الانشغالات ص22.

وإذا حصلت القناعة أمكن إغلاق المحل أو العيادة يومًا في الأسبوع وتخصيص هذا اليوم لطلب العلم. والحريص لا يعدم حيلة، فهذا سائق ليموزين خصص ما بين المغرب والعشاء يوقف السيارة بجوار المسجد ويحضر دروس العلم في المسجد.

- ومنها: التناوب على طلب العلم إن أمكن: فقد يكون شريكان في محل فيتفقان معًا على التناوب في العمل وطلب العلم، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا، وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.. الحديث. رواه البخاري (89)، ومسلم (1479)، وقد بوَّب علي البخاري بقوله:" باب التناوب في العلم".

قال ابن حجر: " فِيهِ أَنَّ الطَّالِبَ لَا يَغْفُلُ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ مَعَاشِهِ لِيَسْتَعِينَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ مَعَ أَخْذِهِ بِالْحَزْمِ فِي السُّؤَالِ عَمَّا يَفُوتُهُ يَوْمَ غَيْبَتِهِ لِمَا عُلِمَ مِنْ حَالِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَتَعَانَى التِّجَارَةَ إِذْ ذَاكَ ". فتح الباري (186/1).

- ومنها: استغلال المواصلات ذهابًا وإيابًا: بعض الموظفين يستغرق ساعة أو أكثر في طريق ذهابه إلى العمل ومثلها في العودة فيمكن استغلال ذلك في استماع بعض المحاضرات أو قراءة بعض الكتيبا، وقد كان الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ وزيرًا ومع ذلك كان يَحْمِلُ مَعَهُ كِتَابًا، فَإِذَا قَامَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْمُتَوَكِّلِ لِيُصَلِّيَ أَخْرَجَ الْكِتَابَ، فَنَظَرَ فِيهِ وَهُوَ يَمْشِي، حَتَّى يَبْلُغَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يُرِيدُ ثُمَّ يَصْنَعُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي رُجُوعِهِ ". تقييد العلم (139/1).

- ومنها: استغلال وقت الفراغ في العمل: فإذا كان الدوام ثمان ساعات مثلا فيمكن أن تكون هناك ساعة مثلا في أثنائه بلا عمل فيمكن استغلالها في طلب العلم. وإذا كنت في محل فهناك أوقات ليس فيها زبائن فيمكن استغلالها في طلب العلم. وقد كان بعض التجار يفتحون محلاتهم بعد الفجر ويقرؤون في المصحف حتى تبدأ الزبائن في التوارد على المحل.

- ومنها: اغتنام وقت الإجازات وإن قلَّت: فالعامل أو الموظف مهما كان مشغولًا فهناك إجازات رسمية وغير رسمية فيمكن استغلالها أو استغلال جزء منها في طلب العلم.

- ومنها: استغلال زمن التَّفَرُّغ قبل الانشغال بالعمل والارتباط به: قال رسول الله ﷺ: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ). رواه الحاكم (7846)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1077).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ). رواه البخاري (6412).

- ومنها: التعويض بالتكنولوجيا الحديثة: فإذا عجزت عن حضور الدورات العلمية في المسجد فيمكنك أن تتابعها على الإنترنت، ويمكن أن تحملها على الجوال وتسمعها منه أو على فلاشة في السيارة أو نحو ذلك من وسائل التكنولوجيا الحديثة.

الحلول كثيرة: لكنها تتطلب همة عالية في طلب العلم " وَمَنْ خَطَبَ الْحَسْنَاءَ لَمْ يَغْلُهَا الْمَهْرُ ". وتنازُلًا عن شيء من الدنيا لأجل العلم والآخرة! ومن فعل ذلك أتته الدنيا راغمة، واستراح بدنه من اللهث في الدنيا. قال ﷺ: (مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ؛ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ). رواه الترمذي (2465)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (6510).

ويحتاج إلى صدق العزيمة والنية: صاحب مخبز عنده همة عالية وعزيمة صادقة كان يعمل من الرابعة صباحًا حتى المغرب، والمخبز بعد المغرب مثل السرداب المظلم والحرارة فيه مرتفعة. ومع ذلك حفظ القرآن وقراءة ورش وحفص، وكتاب التوحيد، وسلم الوصول، والبيقونية والأربعين النووية، والآجرومية، والأصول الثلاثة، ومتن تحفة الأطفال، والجزرية، وعمدة الأحكام، وملح الحريري. طلب العلم في زمن الانشغالات ص31.

- ولا ننسى واجب المقتدرين في تفريغ طلبة العلم: والإنفاق عليهم؛ فهذا في سبيل الله.

كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ [أَيْ: لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ. مرقاة المفاتيح (8/ 3328)] وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: (لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ). رواه الترمذي (2345)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (5084). وَفِيه دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ شُغْلَ الدُّنْيَا، وَأَنْ يُقْبِلَ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. مرقاة المفاتيح (8/ 3328).

قَالَ الطَّبَرِيّ: " من أعَان مُؤمنا على عمل بر فللمُعِين عَلَيْهِ مثل أجر الْعَامِل ". عمدة القاري (137/14).

## الدرس الرابع من الوحدة الرابعة: خطورة البقاء على الجهل

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين. أما بعد؛

فالعِلْم نورٌ وخيرٌ وبركةٌ، ولا يأتي إلا بالخير، بل هو أساسُ كلِّ خير، وعلى النقيض من ذلك: الجهل، وهو سبب رئيس في عامة الأمراض والأدواء التي أصابت الأمة الإسلامية.

- أليس الجهل هو أساس كلِّ شر والدافع لكل سوء؟! وقد قص الله علينا ما سببه الجهل من مفاسد وشِرْكٍ بالله، فانظر كيف فعلَ الجهلُ ببني إسرائيل، فقد طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا كهؤلاء الذين يعبدون الأصنام: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}. فبدلا من حَمْدِ الله على نجاتهم من فرعون وطغيانه، وبدلا من الغيرة على التوحيد عند رؤيتهم لهؤلاء المشركين؛ إذ بهم يطلبون منه أن يجعل لهم أصناماً مثل تلك الأصنام ليعبدوها بسبب جهلهم. جهلهم بربهم وخالقهم!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الجهل والظلم هما أصل كلِّ شر، كما قال سبحانه: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}" اقتضاء الصراط المستقيم (148/1).

بِالْعِلْمِ وَالْمَالِ يَبْنِي النَّاسُ مُلْكَهُمُ  لَمْ يُبْنَ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وَإِقْلالِ

- الجهل عمًى، والجاهل أعمى: قال تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى}؛ فلا يستوي العِلم والجهل، كما لا يستوي البصر والعَمى، قال تعالى: {وَمَا

يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ}. وإذا كان الإنسان أعمى؛ لم يهتدِ إلى الطريق الصحيح المُؤَدِّي إلى خير الدنيا والآخرة.

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ

وكلُّ امْرِئٍ لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّـــتٌ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

- وعاقبة اتخاذ الرؤوس الجهال الوقوع في الضلال والإضلال: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) رواه البخاري (100)، ومسلم (2673).

- الجهل يُوقع صاحبَه في الحرام، بل قد يترتب على قوله دماء مسلمة تضيع: فالرجل الذي شُجَّ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ، فَأَفتاه من لا علم عنده بوجوب الغسل، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، دعا عليهم النَّبِيُّ ﷺ، بقوله: (قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمْ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ). رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارمي، وحسنه الألباني. "فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَخْطَئُوا بِغَيْرِ اجْتِهَادٍ؛ إذْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ". رفع الملام صـ 41.

- وما كذَّبت الأُمَمُ رُسلَهم إلا بسبب الجهل: {قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}. فسهُل على الجُهَّال تكذيب الدِّين؛ لأنهم لا يعلمون عظمته وقيمته، وأنَّه دينُ الحقِّ المُوصِل إلى كلِّ خير، وما سواه فهو باطلٌ يُوصِل إلى الشَّرِّ؛ كما قال تعالى: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}.

- والجهل يُوقع صاحبَه في البِدَع والمُحدثات: مع أنه يريد بعمله تحصيل الحسنات، لكنه أخطأ الطريق بسبب جهله. وكم مِن مريد للخير لا يبلغه، كما قال تعالى: {قُلْ هَلْ

نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

قال ضرار بْن عمرو: "إن قومًا تركوا العلم ومجالسة أهل العلم، واتخذوا محاريب فصلُّوا وصاموا، حتى يَبِسَ جلدُ أحدهم عَلَى عظمه! وخالفوا السنة؛ فهلكوا. فوالله الذي لا إله غيره؛ مَا عمل عاملٌ قط عَلَى جهل؛ إلا كان مَا يُفْسِد أكثرَ ممَّا يصلح" تلبيس إبليس صـ 287.

- وبالجهل تُرتَكَبُ الفواحش، وتُستحَلُّ المُحرَّمات: ففي الحديث: (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا) رواه البخاري (80)، ومسلم (2671). فرتَّب رسول الله ﷺ كثرةَ وقوع المحرَّمات وانتهاكها على ظهور الجهل وكثرته.

قال ابن القيم:" فَمَا خَرَابُ الْعَالِمِ إِلَّا بِالْجَهْلِ، وَلَا عِمَارَتُهُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَإِذَا ظَهَرَ الْعِلْمُ فِي بَلَدٍ أَوْ مَحَلَّةٍ قَلَّ الشَّرُّ فِي أَهْلِهَا، وَإِذَا خَفَى الْعِلْمُ هُنَاكَ ظَهَرَ الشَّرُّ وَالْفَسَادُ. وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا فَهُوَ مِمَّنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا" إعلام الموقعين (182/2).

- وبالجهل تُضَيَّع الحقوق، وتُقَطَّع الأرحام، وتُكتسَبُ السيئات: ففي الحديث: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ...)، وذكرَ منهم: (وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا؛ فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا. فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ) رواه الترمذي (2325)، وابن ماجه (4228)، وهو في صحيح الجامع (3024).

- والجاهل تنطلي عليه الشُّبُهات التي يثيرها أعداء الدِّين: فيشك في الدِّين ويتحيَّر، وربما كذَّبَ برُكْنٍ من أركان الإسلام؛ كما قال تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ}. وربَّما صدَّق أصحابَ الخرافات والشركيَّات كالسحرة والمشعوذين، والمنجِّمين والعرَّافين، وغيرهم من المشركين، ونسيَ أو جَهِلَ أنَّ الله تعالى قال: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}.

وعلى العكس؛ العالِم لا تنطلي عليه شُبهة، ويكون العِلْم سببًا لنجاته: فهذا رسولُ الله ﷺ أخبرَ عن الدَّجَّال أنَّه (يَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ)!

فتأمَّل كيف أنَّ عِلمَ هذا الرَّجل بحديث رسول الله ﷺ كان سببًا في نجاته من هذه الفتنة العظيمة التي ما من نبيٍّ إلاَّ وحذَّر منها أُمَّته. فلولا أنَّ هذا الرَّجل عندَه عِلمٌ بصفة الدَّجَّال أخذَه من السُّنَّة النبويَّة لما عَلِمَ أنَّه الدَّجَّال.

يقول النبيُّ ﷺ: (فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا! فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ. فَيَقُولُ هذا الرَّجل حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ!).

هكذا العِلْم يفعل بصاحبه! يقينًا وثباتًا وصبرًا على الحقِّ والبلاء فيه، فما زادَ هذا الرَّجلَ قتلُ الدَّجَّال له إلا بصيرةً به وثباتًا على الحقِّ.

ثم تكون العاقبةُ من الله تعالى بعد تثبيت هذا الرَّجل أنَّه الدَّجَّال لا يُسَلَّط عليه: (فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ) رواه البخاري (1882، 7132)، ومسلم (2938).

ومن ذلك: ما جرى للشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله مع إبليس، ونجَّاه من ذلك عِلمُه وفقهُه. يقول: "رأيتُ مرَّةً عرشًا عظيمًا وعليه نور، فقال لي: يا عبد القادر؛ أنا ربُّك،

وقد أحللتُ لك ما حرَّمتُ على غيرك! قال: فقلتُ له: أنت الله الذي لا إله إلا هو؟! اخسأ يا عدوَّ الله! قال: فتمزَّق ذلك النور وصار ظُلمةً، وقال: يا عبد القادر، نجوتَ منِّي بفقهك في دينك وعِلمك، لقد فتنتُ بهذه القِصَّة سبعين رجلاً!

فقيل للشيخ عبد القادر: كيف علمتَ أنَّه الشيطان؟ قال: بقوله لي: أحللتُ لك ما حرَّمتُ على غيرك! وقد علمتُ أنَّ شريعة محمد ﷺ لا تُنسَخ ولا تُبَدَّل. ولأنَّه قال: أنا ربُّك، ولم يقدِر أن يقول: أنا الله الذي لا إله إلا أنا!" مجموع الفتاوى (172/1).

فالعِلم حِصنٌ لا يخيب صاحبُه، ونورٌ يهدي إلى الحقِّ والهدى، والجهل ظلامٌ وتخبُّطٌ وعمًى.

- والجاهل لا يميِّز بين الحلال والحرام، ولا الحقِّ والباطل، ولا ما يُرضي الله ولا ما يُسْخطه، ولا بين العدوّ والصَّديق، ولا الأمين والخائن: فلا يُفَرِّق بين البيع والرِّبا، ولا بين الطيِّب والخبيث، ولا بين الصحيح والفاسد. وربَّما عادَى الصادقين الناصحين، ووالَى الأعداء الخائنين، وصدَّق الشائعات، وكذَّب الحقائق!

- والجاهل لا يعرف فقهَ الأولويات: فربَّما حرص على السنن وترك الفرائض، وتورَّع عن المكروهات واستحلَّ الكبائر والموبقات، وراعَى المستحبَّات ووقعَ في المحظورات!

- والجاهل لا يُحْسِن عبادَة ربِّه: فلا يعلم شروطَ العبادة، ولا أركانها، ولا واجباتها، ولا مستحباتها؛ فربَّما تركَ شرطًا لا تصحُّ العبادة إلا به، أو فرَّط في رُكْن؛ فأبطلَ عبادته.

فهذا الرجل المُسيء صلاته الذي رآه رسول الله ﷺ ينقُر صلاته كنقر الغراب؛ لم يكن يُحْسِن يصلِّي؛ فقال له ﷺ ثلاث مرات: (ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ) رواه البخاري (6251)، ومسلم (397).

ورأى حُذَيْفَةُ رضي الله عنه رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فسأله: مُنْذُ كَمْ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ؟

قَالَ: مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ: "مَا صَلَّيْتَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَوْ مِتَّ وَأَنْتَ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ لَمِتَّ عَلَى غَيْرِ فِطْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" رواه البخاري (791)، والنسائي (1312) واللفظ له، وصحَّحَ إسنادَه الألبانيُّ.

- وفي الجملة: الجاهل عدوُّ نفسه يضرُّها من حيث يريد أن ينفعها، ويخفضها من حيث يريد أن يرفعها، {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

وكما قال الشاعر:

مَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ  مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وإذا أطبق الجهل على الإنسان؛ فيصير حالُه كحال البهائم؛ كما قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}.

قال ابن القيّم رحمه الله: "إذا عدمَ الإنسانُ الْعِلْمَ؛ بقي مَعَه الْقدر الْمُشْتَرك بَينه وَبَين سَائِر الدَّوَابّ، وَهِي الحيوانيَّة الْمَحْضَة؛ فَلَا يبْقى فِيهِ فضل عَلَيْهِم، بل قد يبْقى شرا مِنْهُم، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي هَذَا الصِّنْف من النَّاس: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ}؛ فَهَؤُلَاءِ هم الْجُهَّال" مفتاح دار السعادة (78/1).

**فنسأل الله تعالى أن يعلِّمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علَّمنا، وأن ينجِّينا من الجهل؛ إنه سميع قريب مجيب.**

## الوحدة الخامسة : آداب وتوجيهات لطالب العلم

الدرس الأول : طالب العلم والقرآن

الدرس الثاني : أدب الاستفتاء

الدرس الثالث: التعامل مع اختلاف العلماء

الدرس الرابع: العلم والأهل

# الوحدة الخامسة: آداب وتوجيهات لطالب العلم

## الدرس الأول من الوحدة الخامسة: طالب العلم والقرآن

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فالقرآن الكريم هو أصل الأصول في دين الإسلام الحنيف، فقد بيَّن الله تعالى فيه كل شيء: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} إما أن يبين الحكم صراحة، وإما بإحالة على السنة، أو الإجماع، أو القياس، وإما إشارة، وإما بعموم، أو قاعدة عامة، أو نحو ذلك.

فطالب العلم الموفق هو من يتمسك بكتاب الله تعالى، ويدور في فلكه.

قال الشافعي رحمه الله: " فَحَقَّ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ بُلُوغُ غَايَةِ جُهْدِهِمْ فِي الِاسْتِكْثَارِ مِنْ عِلْمِ القرآن، وَالصَّبْرُ عَلَى كُلِّ عَارِضٍ دُونَ طَلَبِهِ، وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي اسْتِدْرَاكِ عِلْمِهِ نَصًّا وَاسْتِنْبَاطًا، وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ فِي الْعَوْنِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ خَيْرٌ إِلَّا بِعَوْنِهِ، فَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَ عِلْمَ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ نَصًّا وَاسْتِدْلَالًا، وَوَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِمَا عَلِمَ مِنْهُ؛ فَازَ بِالْفَضِيلَةِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيَبُ، وَنَوَّرَتْ فِي قَلْبِهِ الْحِكْمَةُ، وَاسْتَوْجَبَ فِي الدِّينِ مَوْضِعَ الْإِمَامَةِ ". أحكام القرآن للشافعي (21/1).

قال ابن القيم رحمه الله:

وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ ... أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفِقَانِ

نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةٍ ... وَطَبِيبُ ذَاكَ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي

وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ... مِنْ رَابِعٍ وَالْحَقُّ ذُو تِبْيَانِ

عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ ... وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ

وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

نونية ابن القيم ص266.

- فطالب العلم يكثر من قراءة القرآن: وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بتلاوة القرآن كما في قوله تعالى حكاية عن نبيه ﷺ: {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ}، وقال تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}.

فبتلاوته تحيى القلوب، ويعظم الأجر، وتحصل البركة، وتزول الشبهات، وتقوم الحجة البالغة لله تعالى على خلقه، قال عز وجل: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ}.

وتلاوة كتاب الله هي التجارة الرابحة: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}.

- وأول طريق طلب العلم: حفظ القرآن: هكذا كان العلماء والسلف الصالح لا تكاد تقرأ ترجمة واحد منهم إلا تجد أول طريقه في طلب العلم حفظ القرآن.

قال ابن عبد البر: " طَلَبُ الْعِلْمِ دَرَجَاتٌ وَرُتَبٌ لَا يَنْبَغِي تَعَدِّيهَا، وَمَنْ تَعَدَّاهَا جُمْلَةً فَقَدْ تَعَدَّى سَبِيلَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَمَنْ تَعَدَّى سَبِيلَهُمْ عَامِدًا ضَلَّ، وَمَنْ تَعَدَّاهُ مُجْتَهِدًا زَلَّ.

فَأَوَّلُ الْعِلْمِ حِفْظُ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَفَهُّمُهُ، وَكُلُّ مَا يُعِينُ عَلَى فَهْمِهِ فَوَاجِبٌ طَلَبُهُ مَعَهُ، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ حِفْظَهُ كُلَّهُ فَرْضٌ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ لَازِمٌ عَلَى مَنْ أَحَبَّ أَنْ

يَكُونَ عَالِمًا فَقِيهًا نَاصِبًا نَفْسَهُ لِلْعِلْمِ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْفَرْضِ ". جامع بيان العلم وفضله (2/ 1129).

قال أحد المشايخ: " أتيت للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله فقلتُ له: أريد أن أقرأ عليك. فقال: حفظت القرآن؟ قلتُ لا. فقال: اذهب احفظ القرآن ثم ائتِ لتقرأ. قال: فغبتُ عليه ستة أشهر معي همة وعزيمة حفظت فيها القرآن، ثم أتيت بعد هذا فقلتُ: يا شيخ أنا حفظت القرآن أحسن الله إليك. قال: اقرأ. قال: فاختبرني في مواضع، ثم قال: بارك الله فيك. قال: اقرأ في كتاب كذا.

- وطالب العلم يحرص على فهم القرآن وتعلم معانيه: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: (أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ [أي: سمينتين] فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟). فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: (أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فيتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الْإِبِلِ). رواه مسلم (803).

قال ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: "كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ". تفسير الطبري (74/1).

وقال سعيد بن جبير: " من قرأ القرآن ثم لم يفسره؛ كان كالأعمى، أو كالأعرابي ". تفسير الطبري (1/ 80-81)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الْعَادَةُ الْمُطَّرِدَةُ الَّتِي جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَنِي آدَمَ تُوجِبُ اعْتِنَاءَهُمْ بِالْقُرْآنِ لَفْظًا وَمَعْنًى؛ بَلْ أَنْ يَكُونَ اعْتِنَاؤُهُمْ بِالْمَعْنَى أَوْكَدَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ كِتَابًا فِي الطِّبِّ أَوِ الْحِسَابِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ رَاغِبًا فِي فَهْمِهِ وَتَصَوُّرِ

مَعَانِيهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ قَرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُنَزَّلَ إِلَيْهِمْ الَّذِي بِهِ هَدَاهُمُ اللَّهُ؟ بَلْ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ رَغْبَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي تَعْرِيفِهِمْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ مِنْ رَغْبَتِهِ فِي تَعْرِيفِهِمْ حُرُوفَهُ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْحُرُوفِ بِدُونِ الْمَعَانِي لَا تُحَصِّلُ الْمَقْصُودَ إذَا اللَّفْظُ إنَّمَا يُرَادُ لِلْمَعْنَى ". مجموع الفتاوى (157/5) باختصار.

- وطالب العلم يتدبر القرآن بعد فهمه: فالتدبر أدقُّ من مجرد فهمه، فالفهم قد يقتصر على معرفة معاني المفردات والمعنى العام للآيات، أما التدبر فيقتضي استنباط الدقائق والأحكام واللطائف وغير ذلك. فبالتدبر يتضِّح لنا التفسير الصحيح مما اختلف في تفسيره. بالتدبر نستطيع تطبيق القرآن على الواقع، وبه نجد الحلول لمشاكلنا الحياتية. وبالتدبر تفقه معانيه وتطلع على علومه وتتعرف على أحكامه وآدابه وتزداد إيمانًا وتسليمًا ويقينًا، ويحصل بالتدبر الخشوع والخوف من الله.

- وقد حث الله تعالى على تدبر كتابه حيث قال: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}.

- ووبَّخ على ترك التدبر، فقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.

عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: " لأن أقرأ البقرة في ليلة، فَأَدَّبَرَهَا، وأُرَتِّلَهَا أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول ". فضائل القرآن (236/1) لابن كثير.

وقال الحسن: " إن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم يتدبرونها بالليل ويتفكرون فيها بالنهار ". لمحات الأنوار (1815) للغافقي.

- وطالب العلم يتدارس القرآن مع مشايخه وزملائه في حلَق الذكر: قال ﷺ: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ). رواه مسلم (2699).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَجْتَمِعُونَ أَحْيَانًا يَأْمُرُونَ أَحَدَهُمْ يَقْرَأُ، وَالْبَاقُونَ يَسْتَمِعُونَ " مجموع الفتاوى (521/22).

فينبغي أن نُعَزِّز وسائل تدارس القرآن المتوارثة مع التطوير والتحديث الدائم، والاستفادة بكل جديد نافع، فمن ذلك:

- نشر حلقات التحفيظ في المساجد.
- الاهتمام بمنهج القرآن في التعليم الأكاديمي لا سيما الابتدائي.
- عمل الدورات الصيفية المكثفة لتعليم القرآن وتحفيظه.
- إنشاء دُورٍ متخصصة لتعليم القرآن.
- نشر المسابقات التي تتعلق بالقرآن حفظًا وتعليمًا.
- استخدام التكنولوجيا الحديثة في تدارس القرآن: الفضائيات، الكمبيوتر، الإنترنت، الجوال، الآي باد...الخ.
- الاهتمام بالمنتديات التي تهتم بتدارس القرآن على شبكة الإنترنت.
- حث النساء في البيوت على متابعة برامج تدارس القرآن عبر الفضائيات بدل " طبخة اليوم"، وبدل المسلسلات التركية التي شغلت عقول الكثيرات من النساء!

- وطالب العلم يهتم بتعليم الناس القرآن: قال ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ).

وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ. قَالَ: " ذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي

هَذَا ". رواه البخاري (5027). قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: " كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ يُقْرِئُ النَّاسَ فِي المَسْجِدِ الأَعْظَمِ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً ". السير (268/4).

وقال مَسْرُوقٌ: " كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقْرَأُ عَلَيْنَا السُّورَةَ، ثُمَّ يُحَدِّثُنَا فِيهَا، وَيُفَسِّرُهَا عَامَّةَ النَّهَارِ ". تفسير الطبري (75/1).

- ولا يتم ذلك كله إلا بالعلم بالقرآن: قال ﷺ: (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أَوْ عَلَيْكَ). رواه مسلم (223). قال النووي رحمه الله: " معناه ظاهرٌ أي: تنتفع به إن تلوتَه، وعمِلْتَ به، وإلا فهو حُجَّةٌ عَلَيْكَ ". شرح النووي على صحيح مسلم (102/3).

قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ}. قال ابن مسعود رضي الله عنه: " والذي نفسي بيدِه إنَّ حقَّ تلاوتِه: أن يُحِلَّ حلالَه، ويُحَرِّمَ حرامَه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يُحَرِّفَ الكَلِمَ عن مواضِعه، ولا يتأوَّل منه شيئًا على غيرِ تأويلِه ". تفسير ابن كثير (205/1).

" فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْمُبْتَدِئَ لَنَا بِنِعَمِهِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، الْمُدِيمَ بِهَا عَلَيْنَا مَعَ تَقْصِيرِنَا فِي الْإِتْيَانِ عَلَى مَا أَوْجَبَ مِنْ شُكْرِهِ لَهَا، الْجَاعِلَنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أَنْ يَرْزُقَنَا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ، ثُمَّ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلًا وَعَمَلًا يُؤَدِّي بِهِ عَنَّا حَقَّهُ، وَيُوجِبُ لَنَا نَافِلَةَ مَزِيدِهِ.

فَلَيْسَتْ تَنْزِلُ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ دِينِ اللَّهِ نَازِلَةٌ إِلَّا وَفِي كِتَابِ اللَّهِ الدَّلِيلُ عَلَى سُبُلِ الْهُدَى فِيهَا ". قاله الشافعي في أحكام القرآن للشافعي (21/1).

## الدرس الثاني من الوحدة الخامسة: أدب الاستفتاء: كيف تسأل أهل العلم؟

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين... وبعد:

فقد أوجب الله على أهل العلم أن يبينوا ما عندهم من العلم ويعلموه الناس، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللَّاعِنُونَ}.. وقال النبي ﷺ: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أبو داود (3658) قال الألباني: حسن صحيح.

وأوجب على المسلم والمسلمة الرجوع إلى العلماء في معرفة الدين وأحكامه، وسؤالهم فيما يحتاجون من نوازل ومسائل، فقال سبحانه: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

وعاقبة عدم الرجوع لأهل العلم وخيمة جدا، فجَابِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ. فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ:(قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ) أبو داود (336) وحسنه الألباني.

ولهذا السؤال والاستفتاء أحكام وآداب، ينبغي على السائل معرفتها ومراعاتها، ومن ذلك:

- أنه يجب معرفة الحكم الشرعي في كل ما يلزم الإنسان، فالبالغ العاقل يلزمه أن يعرف أحكام الصلاة وكيفية أدائها وشروطها.. وإذا دخل عليه رمضان وجب عليه

أن يعرف أحكام الصيام.. ومن باشر التجارة والبيع والشراء وجب عليه أن يعرف أحكام هذه المعاملات وهكذا.

- ولمعرفة هذه الأحكام يجب استفتاء العلماء دون غيرهم، قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.
- لا تستثقل الذهاب إلى العالم؛ وإن اضطرت للسفر إليه لتسأله عن حكم نزل بك ولا تعرف جوابه؛ فيجب عليك ذلك؛ فأنت مكلَّف شرعًا بسؤال أهل العلم، وهذا هو الذي يعذرك عند الله تعالى؛ فاحرص على ذلك طلبًا لسلامة دينك من فتاوى أهل الجهل.

قال الخطيب البغدادي: "أَوَّلُ مَا يَلْزَمُ الْمُسْتَفْتِي إِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَازِلَةٌ أَنْ يَطْلُبَ الْمُفْتِيَ، لِيَسْأَلَهُ عَنْ حُكْمِ نَازِلَتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَحَلَّتِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَجِدُهُ فِيهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِبَلَدِهِ لَزِمَهُ الرَّحِيلُ إِلَيْهِ، وَإِنْ بَعُدَتْ دَارُهُ، فَقَدْ رَحَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي مَسْأَلَةٍ" الفقيه والمتفقه (375/2).

وفي صحيح البخاري في كتاب العلم، باب: الرحلة في المسألة النازلة، ثم ذكر بإسناده حديثا عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ! فَقَالَ لَهَا: عُقْبَةُ مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي! فَرَكِبَ [أَيْ: مِنْ مَكَّةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ دَارَ إِقَامَتِهِ] إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ) فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ. البخاري (88).

والآن يسر الله أمور العلم والسؤال عن المشكلات وأنت في بيتك، عن طريق السؤال بالهاتف أو عن طريق الانترنت...إلخ

أيها المسلم.. أيتها المسلمة.. دينك هو أعظم أمانة حمَّلك الله إياها، وأمور الدين هي أهم ما يجب أن يهتم به المسلم، فيجب أن تحتاط لدينك فلا تسأل إلا من هو أهل للإفتاء.. " فَلَيْسَ كُلُّ مَنِ ادَّعَى الْعِلْمَ أَحْرَزَهُ، وَلَا كُلُّ مَنِ انْتَسَبَ إِلَيْهِ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ...، قال يزيد بن هارون:" إِنَّ الْعَالِمَ حُجَّتُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَانْظُرْ مَنْ تَجْعَلُ حُجَّتَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" الفقيه والمتفقه (378/2).

- لا تتخير المفتين بالمظهر أو الاشتهار بين العوام فلا عبرة بذلك بل العبرة بالعلم والتقوى. عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ:" إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ".
- ليس كل من تكلم وأعجبك حديثه وأسلوبه من القصاص والوعاظ يكون عالما بل ولا متعلما، فهناك بون شاسع بين هؤلاء وبين مَنْ هو أهل للفتوى، فهي تحتاج إلى علم وافر وتخصص وتفرغ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ: "أَدْرَكْتُ بِالْمَدِينَةِ مِائَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْ مِائَةٍ، كُلُّهُمْ مَأْمُونٌ، مَا يُؤْخَذُ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ حَرْفٌ مِنَ الْفِقْهِ، يُقَالُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ" الفقيه والمتفقه (378/2).

- في كل زمان ومكان هناك طلاب شهرة وأضواء مع خلوهم من العلم فلا تأتي هؤلاء ولا تسألهم عن دينك، وقديمًا دخل رجل على الإمام رَبيعة الرأي [شيخ الإمام مالك وصاحب الفتوى بالمدينة] فوجده يبكي، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ وَارْتَاعَ لِبُكَائِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَمُصِيبَةٌ دَخَلَتْ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِ اسْتُفْتِيَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَظَهَرَ فِي الْإِسْلَامِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَلَبَعْضُ مَنْ يُفْتِي هَا هُنَا أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ السُّرَّاقِ "جامع بيان العلم (1225/2). ونقول كما قال ابن الصلاح: رحم الله ربيعة، كيف لو أدرك زماننا!.

- لا تسأل من جعل نفسه مفتيا يتحبب إلى الجمهور ويتخفى خلف شعارات، حيث يخفى ضعفه الإيماني وخواءه العلمي خلف دعوى التيسير ويسر الدين وسماحة الإسلام، ورغم صواب هذه الشعارات فهي ليست المرادة والأمر كما قيل: كلمة حق يراد بها باطل.

  وذكر ابن حزم رحمه الله أن: "مفتيا كان عندهم بالأندلس وكان جاهلا، فكانت عادته أن يتقدمه رجلان كان مدار الفتيا عليهما في ذلك الوقت، فكان يكتب تحت فتياهما: أقول بما قاله الشيخان. فقضى أن ذينك الشيخين اختلفا فلما كتب تحت فتياهما ما ذكرنا، قال له بعض من حضر: إن الشيخين اختلفا! فقال: وأنا أختلف باختلافهما" الإحكام في أصول الأحكام (77/6).

- تستطيع أن تعرف العالم الصالح الكفء لتسأله، وذلك: بسؤال الأخيار وطلبة العلم أو إخبار الثقة لك عنه أو باشتهار أمره بين الناس بالخير والعلم، وتقدير العلماء المأمونون له.
- "إن أفتاك من تثق بعلمه وتقواه فيجب عليك الالتزام بتلك الفتوى" فتاوى اللجنة (12 /93، 307).
- "لا يجوز للإنسان أن يسأل عدداً من العلماء لكي يختار من فتاويهم الأسهل له أو ما يوافق هواه ورأيه" فتاوى اللجنة (12 /307).
- احرص على عرض السؤال بأمانة، فمن الخيانة إخفاء أمر طلقتين ثم يسأل عن الطلقة الثالثة، أو يحذف بعض الورثة ويقول: يا شيخ مات أبي، أو مات أخي وترك كذا وكذا. فبعمله هذا يختلف تقسيم الإرث.
- لا تسل عما لم يقع إلا إذا كان من المحتمل تعرضك لهذا السؤال مستقبلا فتسأل احتياطا، أو على سبيل التعلم والتفقه، ومما ورد في السؤال عن النازلة قبل وقوعها إذا

كانت متوقعة: عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنْ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟! قَالَ: لَا، فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ، فَقَالَ: لَا، ثُمَّ قَالَ:(الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ أَوْ كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ...) رواه البخاري (1296) ومسلم (1628).

- عندما تستمع إلى فتوى لا تطمئن إليها اتصل على من تثق به أو على الإفتاء لتتأكد منها، أو لتصحيح الفتوى التي استمعت إليها.. فإذا كنت في أمور الدنيا لا تأخذ أغراضك إلا أن تتأكد من مصدرها ووكالتها وكفالتها، فكذلك دينك وهذه الفتوى دين، فلا يجوز أن تأخذ دينك عن أي أحد.
- بعض المستفتين يتساهل فيسأل أي أحد ولا يبحث عن الأهل للفتوى، فتراه يسأل أي ملتحٍ في الشارع، وهذا يكثر جداً في موسم الحج. فيسأل الحجاج أي أحد، ثم تكون قاصمة الظهر إذ لا يتورع هؤلاء عن الفتوى، فيفتون على جهل فيَضِلون ويُضِلون.. سأل حاج أحد هؤلاء قال: المرأة عندي حاضت ماذا بالنسبة لطواف الإفاضة؟ قال: ما عليها طواف، لكن تصلي! قال: عجيب تصلي؟! قال: لا آسف، تقضي الصلاة. قال: فطواف الوداع؟ قال: لا، طواف الوداع ركن، لا بدّ أن تنتظر!! ما هو الصحيح؟ أن الحائض لا تصلي ولا تقضي الصلاة ولا بدّ من طواف الإفاضة ويسقط عن الحائض طواف الوداع، فانظر كم مسألة عكس هذا الجاهل وكم غيّر وكم بدّل!
- يجب أن يعلم المستفتي أنه ليس كل من صلى إماما في مسجد، أو دَرَّس درسا، أو ظهر في قناة فضائية يكون أهلاً للفتوى. بعض الناس تبلغ به الجرأة إن لم يعجبه جواب

العالم أن يقول: دوّر يا شيخ ما فيه قول كذا وإلا كذا. كما يحرم التساهل في الفتيا يحرم كذلك استفتاء من عُرف بذلك. المبدع (25/10).

- ومن أدب المستفتي أن لا يقول عند جواب المفتي: هكذا قلتُ أنا، أو هكذا وقع لي، أو بهذا أجبت ولا ينبغي له إذا سأل المفتي أن يقول له: ما تحفظ في كذا؟ بل يقول: ما تقول أيها الفقيه؟ أو ما عندك؟ أو ما الفتوى في كذا؟ الفقيه والمتفقه(382/2).
- يجب أن يحرص المستفتي على أن يظهر تواضعه واحترامه وتقديره لمفتيه فلا يرفع صوته عليه أو يقطع حديثه أو يقسوا في سؤاله.. وبعض الناس لا يراعي الأدب عند السؤال فيخاطب الشيخ قائلا: لو سَرَقْتَ من أحد كيف تستحله؟..
- إذا أجاب المفتي على السؤال فلا ينبغي على المستفتي أن يرد عليه بقوله: قد أفتاني فلان بخلاف ذلك.
- لا تمتحن الشيخ بسؤالك، أو تذهب وتسأله عن أسئلة الألغاز والمسابقات ونحوها.
- يجب مراعاة أن العالم عنده أسرة ومسئوليات فيراعى ذلك في أوقات الاتصال، وفي اختصار السؤال، وفي التماس العذر إن اعتذر عن الإجابة لانشغاله بمهم ونحو ذلك.
- أن يراعي السائل أحوال من يسأله النفسية، فلا يسأله وهو على حالة ضجر، أو همٍّ، أو غضب، أو غير ذلك ممّا يشغل القلب، ويحول بينه وبين التّأمّل؛ فإنّ هذه الأحوال لا ينبغي أن يكون فيها استفتاء ولا إفتاء.
- على المرأة إذا استفتت ألا تخضع في كلامها بل تتكلم بجدية، وتبتعد عن كل ما يثير الريبة والفتنة.
- لا يجوز للمستفتي تتبع الرخص، "قال الإمام أحمد:" لو أن رجلاً عمل بكل رخصة كان فاسقاً. وقال ابن عبد البر: لا يجوز للعامي تتبع الرخص إجماعاً" شرح الكوكب المنير

(578/4). وقال الغزالي: لا يجوز للمستفتي أن يأخذ بمذهبٍ بمجرد التشهي، أو أن ينتقي في كل مسألة أطيبها عنده" المستصفى (391/2).

- قال ابن القيم رحمه الله:" وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ وَالْإِفْتَاءُ فِي دِينِ اللَّهِ بِالتَّشَهِّي وَالتَّخَيُّرِ وَمُوَافَقَةِ الْغَرَضِ فَيَطْلُبُ الْقَوْلَ الَّذِي يُوَافِقُ غَرَضَهُ وَغَرَضَ مِنْ يُحَابِيهِ فَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُفْتِي بِهِ، وَيَحْكُمُ بِهِ، وَيَحْكُمُ عَلَى عَدُوِّهِ وَيُفْتِيهِ بِضِدِّهِ، وَهَذَا مِنْ أَفْسَقِ الْفُسُوقِ وَأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَاَللَّهُ الْمُسْتَعَانُ "إعلام الموقعين (162/4).

- يجب أن يعلم المستفتي أن فتوى العالم هي بحسب ما سمع من سؤاله، فإذا كان الواقع مختلف عن السؤال؛ فلا يجوز للمستفتي العمل بفتوى المفتي، ولا تخلّصه فتوى المفتي من الله كما لا ينفعه قضاء القاضي له بذلك، كما في حديث أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ:(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا) البخاري (7181) ومسلم (1713).

## الدرس الثالث من الوحدة الخامسة: التعامل مع اختلاف العلماء

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فلا أحد يجب اتباعه بذاته وقبول كل أقواله إلا رسول الله ﷺ، ولا أحد من أهل العلم المعتبرين يتعمد مخالفة السنة، وإنما لهم في ذلك أعذار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وَلِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، الْمَقْبُولِينَ عِنْدَ الْأُمَّةِ قَبُولًا عَامًّا، يَتَعَمَّدُ مُخَالَفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ سُنَّتِهِ، وَلَكِنْ إذَا وُجِدَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَوْلٌ قَدْ جَاءَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بِخِلَافِهِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ عُذْرٍ فِي تَرْكِهِ. وَجَمِيعُ الْأَعْذَارِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:

- أَحَدُهَا: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ.
- وَالثَّانِي: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ إرَادَةَ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ بِذَلِكَ الْقَوْلِ.
- وَالثَّالِثُ: اعْتِقَادُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ مَنْسُوخٌ ". رفع الملام عن الأئمة الأعلام (ص8،9).

فالعلماء معذورون في اختلافهم لكن كيف يتعامل العامي أو طالب العلم مع اختلاف العلماء؟

الجواب: أن العلماء اختلفوا في هذه المسألة على أقوال:

- فمنهم من قال: يأخذ بأي الأقوال شاء،
- ومنهم من قال: يأخذ بالأسهل؛ لأن الدين يسرٌ.
- والراجح والعلم عند الله أنه يأخذ بفتوى أوثق المُفْتيين في نفسه وأعلمهما؛ لأن قول المفتي بالنسبة للعامي كالدليل بالنسبة للمجتهد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " إِذَا تَرَجَّحَ عِنْدَ الْمُسْتَفْتِي أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ: إمَّا لِرُجْحَانِ دَلِيلِهِ بِحَسَبِ تَمْيِيزِهِ، وَإِمَّا لِكَوْنِ قَائِلِهِ أَعْلَمَ وَأَوْرَعَ؛ فَلَهُ ذَلِكَ وَإِنْ خَالَفَ قَوْلُهُ الْمَذْهَبَ ". مجموع الفتاوى (168/33).

وقال الشاطبي: " فَتَاوَى الْمُجْتَهِدِينَ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْعَوَامِّ كالأدلة الشرعية بالنسبة إلى الْمُجْتَهِدِينَ. وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ وُجُودَ الْأَدِلَّةِ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْمُقَلِّدِينَ وَعَدَمَهَا سَوَاءٌ؛ إذْ كَانُوا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا شَيْئًا؛ فَلَيْسَ النَّظَرُ فِي الْأَدِلَّةِ وَالِاسْتِنْبَاطُ مِنْ شَأْنِهِمْ ". الموافقات (337/5).

وقال الشيخ ابن جبريل: " موقف السائل عند الاختلاف أن يختار من هو أقوى علمًا، وأشهر وأغزر فهمًا، فيعمل بفتواه، أو ينظر إلى أقرب القولين إلى الدليل والتعليل، والمصالح العامة"

- إذا وجب عليه أن يأخذ بقول الأعلم فكيف يعرف العامّيُّ من هو أعلمُ وأوثقُ؟:

والجواب: أن هناك أمارات وعلامات ذكرها العلماء يُعرَفُ بها الأوثقُ والأعلم:

- بإخبار الثقة: فيخبره العدل الثقة بأن فلانًا هو أوثق العلماء.
- بالمشاهدة: كأن يرى فلانا من المُجتهدين يُذْعِنُ له العلماء الآخرون، ويُبَجِّلُونه، ويُقَدِّمُونه عليهم [كالشيخ ابن باز رحمه الله].
- بالقرائن التي تفيد غلبة الظن أن فلانًا أعلم من فلان. ينظر: روضة الناظر (385/2)، الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ (5/ 2404).

ومن أمثلة هذه القرائن:

- كون أحدهما يقرن فتواه بالدليل، والآخر يذكر فتواه عارية عن الدليل.
- توافُق أكثر العلماء على أحد القولين.
- تصريح كثير من العلماء بتخطئة العالِم الآخَرِ في هذه الفتوى، أو إنكارهم عليه.

- يُلاحِظُ العامي أن أحد العالِمَيْن معظم كلامه وعظٌ عامٌّ، والآخر جُلُّ دروسه آيات وأحاديث وآثار؛ فيقع في قلب العامي أن هذا أوثق وأعلم.
- شهرة أحد العالمين بالبراعة في أحد الفروع الفقهية كأن يشتهر بين أهل العلم أن العالم الفلاني أعلم الناس بالبيوع، وسؤال السائل في البيوع، فيرجح هذا العالم على غيره.
- أو يشتهر بين أهل العلم أن العالم الفلاني أعلم الناس بالفرائض، وسؤال السائل في توزيع تركة؛ فيكون قول هذا العالم أرجح...وهكذا.

- وكيف يفعل لو تساوى عند المستفتي المفتيان من كل وجه فما الحكم؟: الجواب: أنه يأخذ بالأيسر؛ لأن الأصل براءة ذمته من التكليف. قال ابن عثيمين رحمه الله: " وإن تساوى عنده الأمران، أي: لم يرجح أحد العالمين المختلفين؛ فالراجح: أنه يتبع الأيسر؛ لأن هذا موافق ليسر الدين الإسلامي. ولأن الأصل براءة الذمة حتى يثبت ما يرفع هذا الأصل ". مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (395/26).

- فلا يجوز للسائل أن ينتقي من أقوال العلماء على حسب هواه، وما تشتهيه نفسه.

فليس الدين بالهوى، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}. بعض الناس إذا علم أن المسألة فيها خلاف تخيَّر من الأقوال أقربها لهواه، ويقول: الدين يسر، والخلاف رحمة!. وهذا خطأٌ محض؛ فهو اتباع للهوى، وليس اتباع للفتوى الشرعية. ثم لا تكاد ترى مسألة من الفروع الفقهية إلا وفيها خلاف؛ فإذا أخذ العامي من كل خلاف ما يشتهيه؛ فقد ضيَّع دينه.

قال الشاطبي: " وَمَتَّى خَيَّرْنَا الْمُقَلِّدِينَ فِي مَذَاهِبِ الْأَئِمَّةِ؛ لِيَنْتَقُوا مِنْهَا أَطْيَبَهَا عِنْدَهُمْ لَمْ يبقَ لَهُمْ مَرْجِعٌ إِلَّا اتِّبَاعَ الشَّهَوَاتِ فِي الِاخْتِيَارِ، وَهَذَا مُنَاقِضٌ لِمَقْصِدِ وَضْعِ الشَّرِيعَةِ؛ فَلَا يَصِحُّ الْقَوْلُ بِالتَّخْيِيرِ عَلَى حَالٍ". الموافقات (78/5).

- ولا يجوز تتبع رخص العلماء: قال سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: " لو أخذتَ برخصة كل عالم، اجتمع فيكَ الشَّرُّ كلُّه ". مسند علي بن الجعد (1319).

وقال الذهبي: " وَمَنْ تَتَبَّعَ رُخَصَ المَذَاهِبِ، وَزَلاَّتِ المُجْتَهِدِيْنَ؛ فَقَدْ رَقَّ دِيْنُهُ، كَمَا قَالَ الأَوْزَاعِيُّ، أَوْ غَيْرُهُ: مَنْ أَخَذَ بِقَوْلِ المَكِّيِّيْنَ فِي المُتْعَةِ، وَالكُوْفِيِّيْنَ فِي النَّبِيذِ، وَالمَدَنِيِّيْنَ فِي الغِنَاءِ، وَالشَّامِيِّيْنَ فِي عِصْمَةِ الخُلَفَاءِ، فَقَدْ جَمَعَ الشَّرَّ ". سير أعلام النبلاء (91/15).

- هل للعامي أن يسأل أكثر من عالم؟: الأصل أنه لا يجوز أن يستفتي أكثر من عالم إلا لسبب وجيه، أو حاجة ملحة. لأن فرض العامي سؤال أهل الذكر؛ فإذا سأل أهل الذكر صار مُلْزَمًا بالعمل بالفتوى؛ فإن الله تعالى لم يأمره بسؤال أهل الذكر إلا ليعمل بفتواه، وإلا كان السؤال عبثًا.

- ثم نقول للسائل أكثر من عالم: إذا كنتَ تثق في علم هذا الذي سألتَه؛ فلماذا تسأل غيره؟ وإن كنت لا تثق في علمه، فلماذا سألتَه؟ قد يقول: أنا أثق فيه، ولكني أريد أن أتأكد.

نقول: مثلا: الأول قال لك: هذا حلال، فسألت الثاني؛ لتتأكد، فقال لك: هذا حرام، فسألت الثالث، فقال: حلال! فأنت لم تتأكد، بل زِدْتَ حيرةً لا سيما وأنت ليس عندك الأدوات التي تتعرَّف من خلالها على الراجح والمرجوح، ومناقشة الأدلة.

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل يجوز استفتاء أكثر من عالم؟ فأجاب: " لا يجوز للإنسان إذا استفتى عالمًا واثقًا بقوله أن يستفتي غيره؛ لأن هذا يؤدي إلى التلاعب بدين الله وتتبع الرخص، بحيث يسأل فلانًا، فإن لم يناسبه سأل الثاني، وإن لم يناسبه

سأل الثالث وهكذا. وقد قال العلماء: من تتبع الرخص فسق ". فتاوى ابن عثيمين (389/26).

قال ابن عثيمين رحمه الله: " لكن أحيانًا يكون الإنسان ليس عنده من العلماء إلا فلان مثلاً، فيسأله من باب الضرورة، وفي نيته أنه إذا التقى بعالم أوثق منه في علمه ودينه سأله، فهذا لا بأس به، أن يسأل الأول للضرورة، ثم إذا وجد من هو أفضل سأله". فتاوى ابن عثيمين (389/26).

- وإذا عمل السائل بفتوى عالم، ثم ترجح عنده بعد ذلك غيرها فلا يجوز نقض الفتوى الأولى. فمن القواعد المجمع عليها: " أن الاجتهاد لا ينقض بمثله ". آداب الفتوى والمفتي والمستفتي (36/1)، البحر المحيط في أصول الفقه (345/8)، العدة في أصول الفقه (1577 /5).

مثلا: رجل كان يأخذ بفتوى من يقول: إن لحم الجزور لا ينقض الوضوء، وبعد عشرات السنين تبين له رجحان فتوى من يقول بالنقض، فلا يلزمه إعادة الصلوات التي صلاها بعد أن أكل لحم الجزور في الماضي. ولكنه في المستقبل يبني على الفتوى الجديدة.

بعض المستفتيين يطلق زوجته ويفتيه المفتون بأن الطلاق واقع حتى إذا طلَّق الثالثة رجع يفتش في الطلقتين القديمتين، فيقول: الأولى كانت في الحيض، أو في الغضب، أو كذا وكذا فهي ليست محسوبة. إذًا بقي لي طلقة.

عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: شَهِدْتُ عُمَرَ أَشْرَكَ الإِخْوَةَ مِنَ الأَبِ وَالأُمِّ مَعَ الإِخْوَةِ مِنَ الأُمِّ فِي الثُّلُثِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: قَدْ قَضَيْت فِي هَذَه عَامَ الأَوَّلِ بِغَيْرِ هَذَا، قَالَ: وَكَيْفَ قَضَيْت؟ قَالَ: جَعَلْته لِلإِخْوَةِ لِلأُمِّ وَلَمْ تَجْعَلْ لِلإِخْوَةِ مِنَ الأَبِ وَالأُمِّ شَيْئًا. فَقَالَ: " ذَلِكَ عَلَى مَا قَضَيْنَا،

وَهَذَا عَلَى مَا نَقْضِي ". رواه الدارمي (645)، وابن أبي شيبة (31744)، وقال الذهبي: " هذا إسناد صالح ". لسان الميزان (580/1).

## الدرس الرابع من الوحدة الخامسة: العلم والأهل

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فالأولاد نعمةٌ منَّ الله تعالى بها علينا، قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}. والزوجة نعمة يُسأَلُ الإنسان عنها يوم القيامة، فيقول الله له: (أَلَمْ أُزَوِّجْكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ). صحيح ابن حبان (4642)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (4623).

وهم في الوقت نفسه أمانةٌ عظيمةٌ يجب المحافظة عليها، وتربيتُهم، وتعليمهم مسئوليَّةٌ جسيمةٌ في أعناقنا. كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}. عن عليِّ بْنِ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه في معنى الآية أنه قال: " أَدِّبُوهُمْ، وَعَلِّمُوهُمْ ". تفسير الطبري (103/23).

وسوف نُسأَلُ يوم القيامة عن هذه الأمانة، قال ﷺ: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ). رواه البخاري (893)، ومسلم (1829).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُل عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ). رواه النسائي في السنن الكبرى (9174)، وصححه الألباني في الصحيحة (1636).

- فمن حقهم علينا تعليمهم العقيدة الصحيحة: قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

ونعلمهم شهادة التوحيد وأركان الإيمان والإسلام، قال إبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: " كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُلَقِّنُوا الصَّبِيَّ الصَّلاَةَ، وَيُعْرِبُ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ" سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ ". رواه ابن أبي شيبة (3519).

وقال ابن القيم: " فَإِذا كَانَ وَقت نطقهم [يعني الأطفال]؛ فليُلَقَّنوا لَا إِلَه إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول الله. وَليكن أول مَا يقرع مسامعهم معرفَة الله سُبْحَانَهُ، وتوحيده، وَأَنه سُبْحَانَهُ فَوق عَرْشه ينظر إِلَيْهِم، وَيسمع كَلَامهم، وَهُوَ مَعَهم أَيْنَمَا كَانُوا. وَكَانَ بَنو إِسْرَائِيل كثيرًا مَا يسمون أَوْلَادَهم ب "عمانويل" وَمعنى هَذِه الْكَلِمَة إلهنا مَعنا". تحفة المودود بأحكام المولود صـ231.

- ونعلمهم الإيمان بالله وتعلق القلب به والتوكل عليه، ونعلمهم الإيمان بالقدر، عَنْ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: (يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، [تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ] إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ. رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا). رواه الترمذي (2516)، وأحمد (2800)، وصحَّحه الألباني بزياداته في الصحيحة (2382).

ونعلمهم حبَّ النبي ﷺ، وندارسهم شيئًا من سيرته العطرة، ولو عن طريق بعض الأناشيد البسيطة التي تليق بالأطفال. مثل: " أُمُّهُ آمِنة، أبوه عبد الله، مات ما رآه ".

هذا ابنُ عبدِ اللهْ أَخْلَاقُهُ الْقُــرْآنْ

والرَّحْمَةُ الْمُهْـداةْ عَمَّتْ عَلَى الأَكْوَانْ

ونُحَفِّظُهم بعض الأحاديث القصيرة الجامعة من كلام النبي ﷺ التي تناسب طفولتهم مثل: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) رواه البخاري (10)، مسلم (40). (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ...) رواه البخاري (8)، ومسلم (16). وهكذا.

- ونُعَلِّمُهم حب الصحابة لا سيما أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال الإمام مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: "كَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، كَمَا يُعَلِّمُونَ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ". أصول الاعتقاد (7/ 1313).

- ونعلمهم العبادات وأعظمها الصلاة: قال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} " أي: حُثَّ أهلَك على الصلاة، وأَزْعِجْهم إليها من فرْضٍ، ونفْلٍ. والأمرُ بالشيءِ أمرٌ بجميع ما لا يتِمُّ إلا به؛ فيكون أمرًا بتعليمِهم ما يُصلِح الصلاةَ، ويُفسِدُها، ويُكَمِّلُها ". تفسير السعدي (17/1).

وقد أثنى ربُّنَا سبحانه وتعالى ثناءً حسنًا على نبِيٍّ من أنبيائه بتعاهُده لأهله بأمرهم بالصلاة؛ قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ). رواه أبو داود (495)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (5868).

- ونعلمهم الآداب والأخلاق: كأدب الاستئذان، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ

الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ}.

ومثل أدب الطعام، عن عمر بن أبي سلمة قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ). فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ [أَيْ صِفَةُ أَكْلِي أَيْ لَزِمْتُ ذَلِكَ وَصَارَ عَادَةً لِي. فتح الباري (523/9)]. رواه البخاري (5376)، ومسلم (2022).

- ومن التدابير الجيدة: تخصيص مؤدب ومعلم للأولاد: وقد كان من عادة الخلفاء أن يستدعوا عالمًا من العلماء لتأديب أولادهم وتعليمهم.

ومن الطرائف في ذلك أن المأمون الخليفة العباسي وكَّل الفرَّاء يُلَقِّن ابنيه النحو، فلما نهض ابتدرا إلى نعل الفراء يُقَدِّمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه، ثم اصطلحا على أن يُقدِّم كل واحد منهما فردًا. فاستدعى المأمونُ الفراءَ، وكان علم بالخبر، فقال له: من أعزُّ النَّاسَ؟ قَالَ: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين. قَالَ: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد منهما أن يُقَدِّم فردًا ". المنتظم (179/10).

- ونعلمهم الحلال والحرام بالتدريج: فمن الخطأ أن نعتقد أن الطفل لا يفهم الأدلة من القرآن والسنة، أو لا يستوعب الحلال والحرام. إن الطفل منذ نعومة أظفاره يستوعب الحلال والحرام، وإذا فُهِّمَ؛ فَهِمَ.

ومما يدل على ذلك حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (كِخْ كِخْ)؛ لِيَطْرَحَهَا. ثُمَّ قَالَ: (أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ). رواه البخاري (1419)، ومسلم (1069).

(كِخْ كِخْ) هِيَ كَلِمَة يُزْجَرُ بِهَا الصِّبْيَانُ عَنِ الْمُسْتَقْذَرَات، فَيُقَال لَهُ: (كِخْ) أَيِ: اُتْرُكْهُ. وَفِي

الْحَدِيث: تَأْدِيبُهُمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ وَمِنْ تَنَاوُلِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ مُكَلَّفِينَ لِيَتَدَرَّبُوا بِذَلِكَ. شرح النووي (175/7)، فتح الباري (3 / 355).

- ونعلمهم شيئًا من القرآن: سواء علمه أحد الوالدين بنفسه أو ألحقه بحلقات التحفيظ، قال علي بن أبي طالب لوالد الفرزدق الشاعر: من هَذَا الْغُلَام مَعَك؟ قَالَ: هَذَا ابْني، وَقد رويته الشّعْر يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، وَكَلَام الْعَرَب ويوشك أَن يكون شَاعِرًا مجيدًا. فَقَالَ: أقرئه الْقُرْآن فَهُوَ خير لَهُ. فَكَانَ الفرزدق بعد يروي هَذَا الحَدِيث، وَيَقُول: مَا زَالَت كَلمته فِي نَفسِي حَتَّى قيد نَفسه بِقَيْد وآلى أَلا يفكه حَتَّى يحفظ الْقُرْآن فَمَا فكَّه حَتَّى حفظه. خزانة الأدب (222/1).

- ونعلمهم اللغة العربية: التي هي لغة القرآن، فمن الأخطاء الفادحة أن يعلم الطفل الإنجليزية قبل أن يتعلم لغته الأصلية فلا يحصل هذه ولا تلك. عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَضْرِبُ وَلَدَهُ عَلَى اللَّحْنِ. الأدب المفرد (880).

- وإن لم تستطع الأم تعليم ابنها بنفسها فلتهيئ له أسباب طلب العلم: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: " يا بنيَّ، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي ". صفة الصفوة (189/3).

وقالت له أيضًا: " يا بنيَّ، إذا كتبتَ عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسِك زيادةً في مشيك وحلمك ووقارك؟ فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك ". صفة الصفوة (189/3).

نسأل الله تعالى أن ينبت لنا أولادنا نباتا حسنًا إنه قريب مجيب.

## الوحدة السادسة : أصول ما لا يسع المسلم جهله

الدرس الأول : ما لا يسع المسلم جهله في العقيدة

الدرس الثاني : ما لا يسع المسلم جهله في العبادات

الدرس الثالث: ما لا يسع المسلم جهله في المعاملات

الدرس الرابع: ما لا يسع المسلم جهله في الأطعمة

# الوحدة السادسة: أصول ما لا يسع المسلم جهله.

## الدرس الأول من الوحدة السادسة: ما لا يسع المسلم جهله في العقيدة.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

اعلم أيُّها المسلِم الموحِّد أنَّ الإيمان يقوم على ستة أركان، لا يتمُّ الإيمان إلاَّ بها؛ فإذا سقط منها ركنٌ لم يكن الإنسان مؤمنًا البتة؛ لأنَّه فقدَ ركنًا من أركان الإيمان.

وهذه الأركان هي التي جاءت في حديث جبريل عليه السلام المشهور، لمَّا سأل رسولَ الله ﷺ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). رواه مسلم (8).

= الإيمان بالله: نؤمن بربوبيَّة الله تعالى؛ أي: بأنَّه الرب الخالق، المالك، المدبِّر لجميع الأمور. ونؤمن بألوهيَّة الله تعالى؛ أي: بأنَّه الإله الحقُّ؛ فلا معبودَ بحقٍّ إلا الله، وكل معبود سواه باطل. ونؤمن بأسمائه وصفاته؛ أي: بأنَّ له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا. ونؤمن بوحدانيته في ذلك؛ أي: بأنَّه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيَّته، ولا في أسمائه وصفاته. قال تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ونؤمن بأنَّه تعالى مع خلقه وهو على عرشه، يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبِّر أمورهم، يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك مَن يشاء، وينزع الملك ممَّن يشاء، ويُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ مَن يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. ومَن كان

هذا شأنه كان مع خلقه حقيقةً، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ونؤمن بثبوت كلِّ ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، لكننا نتبرأ من محظورَين عظيمَين؛ هما:

- التمثيل: أن يقول بقلبه أو لسانه: صفات الله تعالى كصفات المخلوقين.
- والتكييف: أن يقول بقلبه أو لسانه: كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا.

ونؤمن بانتفاء كلِّ ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وأنَّ ذلك النفي يتضمَّن إثباتًا لكمال ضِدِّه، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

= الإيمان بالملائكة: نؤمن بملائكة الله تعالى، وأنَّهم: {عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}. خلقهم الله تعالى فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته: {لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}. مخلوقون من النور، حجبَهم الله عنَّا فلا نراهم.

ونؤمن بأنَّ للملائكة أعمالاً كُلِّفوا بها: فمنهم جبريل الموكَّل بالوحي، ينزل به من عند الله على مَن يشاء من أنبيائه ورسله.

- ومنهم ميكائيل الموكَّل بالمطر والنبات.
- ومنهم إسرافيل الموكَّل بالنفخ في الصُّور حين الصعق والنشور.
- ومنهم مَلَك الموت الموكَّل بقبض الأرواح عند الموت.
- ومنهم مَلَك الجبال الموكَّل بها.

- ومنهم ملائكة موكَّلون بالأجنَّة في الأرحام، وآخرون موكَّلون بحفظ بني آدم، وآخرون موكَّلون بكتابة أعمالهم، لكلِّ شخص ملكان، {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، وآخرون موكَّلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من دفنه.

= الإيمان بالكتب: نؤمن بأنَّ الله تعالى أنزل على رسله كتبًا، حُجَّةً على العالمين ومحجَّة للعامِلين. أنزل الله تعالى مع كلِّ رسول كتابًا؛ لقوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}.

ومن هذه الكتب:

- التوراة: التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وهي أعظم كتب بني إسرائيل، {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}.
- والإنجيل: الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السَّلام، وهو مصدِّق للتوراة ومتمِّم لها: {وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ}.
- والزَّبور: الذي آتاه الله تعالى داود عليه السلام.
- وصُحُف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.
- والقرآن العظيم: الذي أنزله الله على نبيِّه محمد خاتَم النبيِّين ﷺ، {هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}، فكان {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}.

نسخَ الله به جميعَ الكتب السابقة، وتكفَّل بحفظه عن عَبَث العابثين وزَيغ المحرِّفين: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}؛ لأنه سيبقى حُجَّة على الخلق أجمعين إلى يوم

القيامة. وأما باقي الكتب السابقة؛ فكانت مؤقتة بأمد ينتهي بنزول ما ينسخها؛ فوقعَ فيها التحريف والزيادة والنقص.

= الإيمان بالرُّسل: نؤمن بأنَّ الله تعالى بعثَ إلى خلقه رسلًا: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}.

وأنَّ مَن كفر بنبيٍّ واحدٍ فقد كفر بجميع الرُّسل، ومَن كفر برسالة محمد ﷺ إلى الناس جميعًا فقد كفر بجميع الرُّسل، حتى برسوله الذي يزعم أنَّه مؤمن به متَّبع له؛ لقوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ}؛ فجعلهم مكذِّبين لجميع الرسل مع أنَّه لم يسبق نوحًا رسولٌ!

ونؤمن بأنَّ أولهم نوح، وآخرهم محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}. وأنَّ أفضلهم خمسة وهم أولو العزم: محمد، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم نوح، وعيسى بن مريم، عليهم السلام، وهم المخصوصون في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}.

ونؤمن بأنَّ جميع الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، كلُّهم عبيد من عباد الله تعالى، أكرمَهم بالرِّسالة ووصفَهم بالعبوديَّة، وقد أمرَ الله تعالى محمدًا ﷺ وهو آخرهم وأفضلهم أن يقول: {لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ}.

= الإيمان باليوم الآخر: نؤمن باليوم الآخر، وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، حين يُبعَث الناس أحياءً للبقاء، إما في دار النعيم وإما في دار العذاب الأليم.

فنؤمن بالبعث؛ وهو: إحياء الله تعالى الموتى حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ

فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة بلا نعال، عراة بلا ثياب، غرلاً بلا ختان، {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}.

ونؤمن بصحائف الأعمال تُعطَى باليمين أو من وراء الظهور بالشمال، {كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}. ونؤمن بالموازين تُوضَع يوم القيامة فلا تُظلَم نفسٌ شيئًا.

ونؤمن بالشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ خاصَّة، وبالشفاعة فيمَن دخل النار من المؤمنين ليخرجوا منها، وهي للنبي ﷺ وغيره من النبيين والمؤمنين والملائكة.

ونؤمن بالحوض، وبالصراط المنصوب على جهنم، يمرُّ الناس عليه على قدر أعمالهم. ونؤمن بكلِّ ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من أخبار ذلك اليوم وأهواله أعاننا الله عليها.

ونؤمن بأنَّ الجنة والنار موجودتان الآن، ولن تفنيا أبد الآبِدين؛ فالجنة دار النعيم التي أعدَّها الله تعالى للمؤمنين المتقين، والنار دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين. ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه.

فعلى المؤمن أن يؤمن بكلِّ ما جاء به الكتاب والسنة من هذه الأمور الغيبيَّة، وأن لا يعارضها بما يشاهد في الدنيا؛ فإنَّ أمور الآخرة لا تُقاس بأمور الدُّنيا؛ لظهور الفرق الكبير بينها.

= الإيمان بالقَدَر خيرِه وشرِّه: نؤمن بالقَدَر خيرِه وشرِّه، وهو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمتُه.

وللقدر أربع مراتب:

العِلْم: فنؤمن بأنَّ الله تعالى بكلِّ شيء عليم، عَلِمَ ما كان وما يكون وكيف يكون، بعلمه الأزلي الأبدي؛ فلا يتجدد له عِلم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد عِلْم، سبحانه وتعالى.

الكتابة: فنؤمن بأنَّ الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.

المشيئة: فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كلَّ ما في السماوات والأرض، لا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الخلق: فنؤمن بأنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}.

فكلُّ ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى، مكتوبة عنده، والله تعالى قد شاءها وخلقها، ولكنَّنا مع ذلك نؤمن بأنَّ الله تعالى جعلَ للعبد اختيارًا وقدرة، بهما يكون الفعل؛ فلا حُجَّة للعاصي على المعصية بقَدَر الله تعالى؛ لأنَّ العاصي يقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أنَّ الله تعالى قدَّرها عليه؛ إذ لا يعلم أحدٌ قَدَرَ الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره، {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا}. ملخَّص من كتاب: عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة للشيخ ابن عثيمين.

**فنسأل الله تعالى أن يوفِّقنا للعِلم والعمل، وأن يتقبَّل منَّا صالح الأعمال، وأن يجنِّبنا الزَّلَل، آمين.**

## الدرس الثاني من الوحدة السادسة: ما لا يسع المسلم جهله في العبادات.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فمن فروض الأعيان على كل مسلم أن يتعلم العبادات الواجبة عليه. وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ). رواه ابن ماجة (224)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3913).

فمن العلم ما هو فرض كفاية [إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين كتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه]، ومنه ما هو فرض عين [أي: يجب فعله على كل مكلف بعينه كالصلوات الخمس].

وضابط العلم الذي هو فرض عين: " أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة؟ وكيف يقوم بهذه المعاملة؟ وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية ". كتاب العلم لابن عثيمين (ص18).

قال ابن عبد البر: " وَالَّذِي يَلْزَمُ الْجَمِيعَ فَرْضُهُ مِنْ ذَلِكَ: مَا لَا يَسَعُ الْإِنْسَانَ جَهْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ الْفَرَائِضِ الْمُفْتَرَضَةِ عَلَيْهِ نَحْوَ الشَّهَادَةِ بِاللِّسَانِ وَالْإِقْرَارِ بِالْقَلْبِ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شِبْهَ لَهُ... وَأَنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فَرِيضَةٌ، وَيَلْزَمُهُ مِنْ عِلْمِهَا عِلْمُ مَا لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ مِنْ طَهَارَتِهَا وَسَائِرِ أَحْكَامِهَا، وَأَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ فَرْضٌ، وَيَلْزَمُهُ عِلْمُ مَا يُفْسِدُ صَوْمَهُ، وَمَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى الْحَجِّ لَزِمَهُ فَرْضًا أَنْ يَعْرِفَ مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ

وَمَتَى تَجِبُ وَفِي كَمْ تَجِبُ، وَلَزِمَهُ أَنْ يَعْلَمَ بِأَنَّ الْحَجَّ عَلَيْهِ فُرِضَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي دَهْرِهِ إِنِ اسْتَطَاعَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ ". جامع بيان العلم وفضله (56/1) باختصار.

- فمن فروض الأعيان الصلاة: وهي أعظم الواجبات العملية، قَالَ ﷺ: (اعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ). رواه ابن ماجة (277)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (952).

فيجب أن يتعلم شروطها: كالطهارة لها وتفصيل ذلك من الوضوء والغسل والتيمم.

فيتعلم أركان الوضوء وكيفيته ونواقضه، ويتعلم فقه المياه التي يتطهر بها... الخ.

فإن من بطل وضوءه بطلت صلاته، وقد رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُصَلِّي وَفِي ظَهْرِ قَدَمِهِ لُمْعَةٌ قَدْرُ الدِّرْهَمِ لَمْ يُصِبْهَا الْمَاءُ؛ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعِيدَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ. رواه أبو داود (175)، وصححه الألباني في الإرواء (86).

وكذلك الحال في الغسل والتيمم.

- ويتعلم أوقات الصلوات الخمس بداية الوقت ونهايته حتى يصلي الصلوات في أوقاتها، قال تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}. وبقية شروط الصلاة من ستر العورة، مع العلم بحدود العورة، وطهارة الثياب، والبدن، والمكان الذي يصلي عليه. واستقبال القبلة، ومتى يجب عليه استقبالها ومتى لا يجب.

ويجب أن يتعلم أركان الصلاة كالقيام وقراءة الفاتحة والركوع والسجود والطمأنينة فيهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ). فَرَجَعَ، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ، فَقَالَ: (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ). فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوِ فِي الَّتِي بَعْدَهَا: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ

الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا). رواه البخاري (6251) ومسلم (397).

ويجب أن يحفظ صيغة التشهد. ويتعلم واجبات الصلاة كالتكبيرات غير تكبيرة الإحرام فهي ركن، والتسبيح في الركوع والسجود، ونحو ذلك.

- ويتعلم أحكام سجود السهو، وحالات السهو: الزيادة والنقص والشك والفرق بين نسيان ركن أو نسيان مستحب أو هيئة من هيئات الصلاة...الخ. فالسهو لا يكاد ينجو منه أحد فيجب على المسلم أن يتعلم كيف يتصرف إذا حصل منه سهو في الصلاة.

- وإذا كان من أهل الأعذار في الصلاة تعلم ما يُرَخَّص له في تركه، وما لا يُرَخَّص له فيه. قال ﷺ لعمران بن حصين رضي الله عنه حين اشتكى البواسير: (صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ). رواه البخاري (1117).

بعض الناس إذا مرض ترك الصلاة يقول: كيف أصلي والنجاسة على ثوبي، أو والقسطرة متصلة بي والنجاسة نازلة باستمرار؟ ولم يعلم أنه يعفى له عن النجاسة في مثل هذه الحالة لمكان الضرورة. وقد يكون الرجل محافظًا على الصلاة طول عمره، ثم يمرض في آخر عمره؛ فيترك الصلاة لأجل هذا الجهل؛ فيموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

= ومنها: إيتاء الزكاة: قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}.

- فيتعلم شروط وجوب الزكاة: الإسلام والحرية وملك النصاب وحولان الحول إلا في الزروع والثمار؛ فلا يشترط فيها حولان الحول، قال تعالى: {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}.

- ويتعلم الأموال التي يجب فيها الزكاة: النقدين، وبهيمة الأنعام، والزروع والثمار، وعروض التجارة.

- ويتعلم الشروط الخاصة بالنوع الذي يملكه من الأموال إن كان من أهل الزروع علم الشروط الخاصة بالزروع ككونه مكيلا مدخرًا.

- ويتعلم مقدار النصاب الذي يجب فيه الزكاة، والمقدار الذي يجب إخراجه كربع العشر في النقدين وعروض التجارة، وفي الزرع الذي يسقى بلا كلفة العشر، وفيما يسقى بكلفة نصف العشر قال ﷺ: (فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا [هُوَ مِنَ النَّخيل الَّذِي يَشْرب بعُروقه مِنْ مَاءِ المَطَر يجتمع فِي حَفِيرة. النهاية (182/3)] الْعُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ). رواه البخاري (1483)....وهكذا.

- ويعرف من يستحق الزكاة ممن لا يستحقها: قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا...} الآية. وقال ﷺ: (لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ [أي: قُوَّةٍ] سَوِيٍّ [أي: صحيح البدن]). رواه الترمذي (652)، وأبو داود (1634)، وصححه الألباني في الإرواء (877).

= صوم رمضان: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}. فيتعلم شروط صحة الصيام كتبييت النية من الليل، وبم يثبت الشهر بداية ونهاية؟

ويتعلم أركان الصيام، وأنه يجب عليه الإمساك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}. ويتعلم مبطلات الصيام: كالأكل والشرب عامدًا ذاكرًا والجماع. وما لا يُؤَثّر على الصيام: كالسواك والطيب وبلع الريق والاغتسال، ونحو ذلك.

= حج البيت: قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}. فمن وجد سعة من المال ولزمه الحج، فيجب عليه أن يتعلم مناسك الحج قبل أن يسافر إليه.

- فيتعلم المواقيت الزمانية والمكانية حتى يعرف متى يحرم ومن أين يحرم؟ قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}.

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَقَّتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ [أبيار علي]، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ [رابغ]، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَازِلِ [السيل الكبير]، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلَمْلَمَ [السعدية]. قَالَ: (فَهُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ فَمِنْ أَهْلِهِ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهِلُّونَ مِنْهَا). رواه البخاري (1524)، ومسلم (1181).

- ويتعلم أركان الحج: الطواف والسعي والوقوف بعرفة..الخ.
- ويتعلم واجباته كالمبيت بمزدلفة ورمي الجمار.
- ويتعلم كيف يحرم بالحج وما هي محظورات الإحرام؟

بعض الناس إذا أراد الحج لا يتعلم مناسك الحج، ولا يسأل ولا يهتم إلا بالفنادق، وهل هي خمسة نجوم أم ثلاثة نجوم؟

- ومن أراد فعل عبادة حتى ولو كانت مستحبة كصلاة الكسوف وجب عليه أن يتعلم كيف يؤديها على وجهها الصحيح؟ فإن هذا من شرط قبول العبادة كما في الأثر المشهور عن الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} قال: " أخلصه وأصوبه ". قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: " الخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة ". حلية الأولياء (8 / 95).

## الدرس الثالث من الوحدة السادسة: ما لا يسع المسلم جهله في المعاملات.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فلا يخلو المسلم من التعامل مع الناس بشتى أنواع المعاملات، وهذه المعاملات منها: ما أحلَّه الله، ومنها: ما حرَّمه الله؛ لذا يجب على المسلم لا سيما التاجر أن يتعلم فقه المعاملات التي يتعامل بها؛ إذ كيف يعرف الحلال من الحرام وكيف يتقي المشتبهات إذا لم يتعلم أحكام ذلك؟!

قال النووي رحمه الله:" أَمَّا الْبَيْعُ وَالنِّكَاحُ وَشَبَهُهُمَا مِمَّا لَا يَجِبُ أَصْلُهُ، فَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُمَا: يَتَعَيَّنُ عَلَى مَنْ أَرَادَهُ تَعَلُّمُ كَيْفِيَّتِهِ وَشَرْطِهِ. وَقِيلَ لَا يُقَالُ: يَتَعَيَّنُ، بَلْ يُقَالُ: يَحْرُمُ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ شَرْطِهِ. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ أَصَحُّ، وَعِبَارَتُهُمَا مَحْمُولَةٌ عَلَيْهَا" المجموع شرح المهذب (25/1).

وقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ: قُلْتُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: مَا الَّذِي لَا يَسَعُ الْمُؤْمِنَ مِنْ تَعْلِيمِ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَطْلُبَهُ؟ وَمَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ؟ قَالَ:"لَا يَسَعُهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِعِلْمٍ وَلَا يَسَعُهُ حَتَّى يَسْأَلَ" جامع بيان العلم (56/1).

وقال عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:" لَا يَبِعْ فِي سُوقِنَا إِلَّا مَنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ" رواه الترمذي (487) وحسنه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي. وفي رواية:" لاَ يَتَّجِرُ فِي سُوقِنَا إِلاَّ مَنْ فَقِهَ، وَإِلاَّ أَكَلَ الرِّبَا " التمهيد لابن عبد البر(247/2).

- فيلزم التاجر تعلُّم فقه البيوع: وأركان البيع وصوره وشروطه؛ حتى يبيع بطريقة صحيحة، ويتجنب البيوع المحرمة.

- ويتعلم الربا وصوره، والأصناف الربوية، وما يشترط فيه التقابض والتماثل معًا، أو التقابض فقط؛ وأحكام الصرف وتبادل العملات؛ حتى لا يقع في الربا. ويتعلم جيّدًا الفرق بين البيع والربا، قال تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}.

- ويلزمه تعلم سائر البيوع المحرمة في الشرع حتى لا يقع فيها كما قال القائل:

عَرَفْت الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ  لَكِنْ لِتَوَقِّيـــــهِ
وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ  مِنَ النَّاس يَقعُ فِيه

الحماسة المغربية (2/ 1253).

قال ابن رشد: " إذَا اعْتُبِرَتِ الْأَسْبَابُ الَّتِي مِنْ قِبَلِهَا وَرَدَ النَّهْيُ الشَّرْعِيُّ فِي الْبُيُوعِ، وَهِيَ أَسْبَابُ الْفَسَادِ الْعَامَّةُ؛ وُجِدَتْ أَرْبَعَةٌ:

- أَحَدُهَا: تَحْرِيمُ عَيْنِ الْمَبِيعِ.
- وَالثَّانِي: الرِّبَا.
- وَالثَّالِثُ: الْغَرَرُ [وَالْغَرَرُ: هُوَ الْمَجْهُولُ الْعَاقِبَةِ. القواعد النورانية (169/1)].
- وَالرَّابِعُ: الشُّرُوطُ الَّتِي تَئُولُ إلَى أَحَدِ هَذَيْنِ أَوْ لِمَجْمُوعِهِمَا. بداية المجتهد ونهاية المقتصد (145/3).

- فمن ذلك: تعلم ما يحرم بيعه لعينه: كالخمر والخنزير، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ، وَالْخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ). فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ؟ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدَّهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ. فَقَالَ: (لَا. هُوَ حَرَامٌ). فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: (قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ جَمَلُوهُ [أي: أذابوه]، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ). رواه البخاري (2236) ومسلم (1581). وفي حديث ابن عباس نحوه

وزاد: (وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا حَرَّمَ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ ثَمَنَهُ). رواه أبو داود (3488)، وأحمد (2673)، وصححه الألباني في غاية المرام (318).

- ومنه: الملامسة والمنابذة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمُلَامَسَةِ وَالْمُنَابَذَةِ. رواه البخاري (368)، ومسلم (1511).

والملامسة: أَنْ يَجْعَلَا نَفْسَ اللَّمْسِ بَيْعًا، فَيَقُولُ: إِذَا لَمَسْتَهُ فَهُوَ مَبِيعٌ لَكَ. والمنابذة أَنْ يَجْعَلَا نَفْسَ النَّبْذِ بَيْعًا. وفيه تفسيرات أخرى. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (155/10).

وهذا البيع موجود في عصرنا بصور أخرى فبعض الباعة يقول للزبون: إذا فتحت لك الكرتون فقد تمَّ البيع، وإذا فتشت الكيس فلا خيار لك، إذا أنزلت البضاعة من الرفِّ فقد تم البيع...ونحو هذا الكلام.

والنجش: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْشِ. رواه البخاري (2142)، ومسلم (1516).

والنجش: أن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شراءها؛ ليجر غيره إلى الزيادة في السعر كما يحدث في المزادات العلنية ومعارض السيارات.

والعينة: قال ﷺ قال: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ). رواه أبو داود (3462)، وصححه الألباني في الصحيحة (11). قَالَ الرَّافِعِيُّ: " بَيْعُ الْعِينَةِ هُوَ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِهِ بِثَمَنٍ مُؤَجَّلٍ وَيُسَلِّمُهُ إِلَى الْمُشْتَرِي، ثُمَّ يَشْتَرِيهِ قَبْلَ قَبْضِ الثَّمَنِ بِثَمَنِ نَقْدٍ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ ". عون المعبود (242/9).

- وبيع ما لا تملك: بعض الناس يذهب إلى تاجر التقسيط، فيتفق معه على أن يشتري له سيارة معينة على أن يبيعها له بالتقسيط بسعر كذا وكذا. ويُوَقِّع معه على العقود، ثم يذهب ذلك التاجر إلى صاحب المعرض، فيشتري السيارة المعينة نقدًا، ثم يبيعها للزبون بالتقسيط بسعر أعلى. بل أحيانًا تباع السلعة مرات عديد دون أن تتحرك من مكانها فالبنك يبيعها للمعرض والمعرض يبيعها للتاجر والتاجر يبيعها للمستهلك. كل هذا والسلعة [سيارة أو غيرها] في مكانها لم تُنقل شبرًا واحدًا!

وهذا حرام، وحيلة على القرض الربوي. عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَأْتِينِي الرَّجُلُ يَسْأَلُنِي مِنَ الْبَيْعِ مَا لَيْسَ عِنْدِي أَبْتَاعُ لَهُ مِنَ السُّوقِ ثُمَّ أَبِيعُهُ. قَالَ: (لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ). رواه الترمذي (1232)، وأبو داود (3502)، والنسائي (4613)، وصححه الألباني في الإرواء (1292).

- والغرر والجهالة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ. رواه مسلم (1513).

قال النووي: " وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ فَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ كِتَابِ الْبُيُوعِ؛ وَيَدْخُلُ فِيهِ مَسَائِلُ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ: كَبَيْعِ الْمَعْدُومِ وَالْمَجْهُولِ، وَمَا لَا يُقْدَرُ عَلَى تَسْلِيمِهِ، وَمَا لَمْ يَتِمَّ مِلْكُ الْبَائِعِ عَلَيْهِ، وَبَيْعِ السَّمَكِ فِي الْمَاءِ الْكَثِيرِ، وَاللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ، وَبَيْعِ الْحَمْلِ فِي الْبَطْنِ، وَبَيْعِ ثَوْبٍ مِنْ أَثْوَابٍ وَشَاةٍ مِنْ شِيَاهٍ وَنَظَائِرَ ذَلِكَ، وَكُلُّ هَذَا بَيْعُهُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ غَرَرٌ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ". شرح النووي على صحيح مسلم (156/10) باختصار.

والفرق بين الغرر والمجهول: أن أَصْلَ الْغَرَرِ هُوَ الَّذِي لَا يُدْرَى هَلْ يَحْصُلُ أَمْ لَا؟ كَالطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَالسَّمَكِ فِي الْمَاءِ. وَأَمَّا مَا عُلِمَ حُصُولُهُ وَجُهِلَتْ صِفَتُهُ فَهُوَ الْمَجْهُولُ كَبَيْعِهِ مَا فِي كُمِّهِ. الفروق (265/3).

والقمار: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. قال ابن العربي في تعريف القمار: " طلب كل واحد منهما صاحبه بغلبة في عمل، أو قول؛ ليأخذ مَالًا جعله للغالب ". عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (30/1).

- ويدخل في القمار: معظم أنواع التأمين كالتأمين التجاري، والتأمين على النفس، ومعظم المسابقات على القنوات الفضائية [مثل "من سيربح المليون؟"].

- ويلزمه تَعَلُّمُ أنواع الخيار: كخيار المجلس، وخيار الشرط وخيار العيب...الخ وأحكام كل نوع ومتى يقطع الخيار؛ حتى لا يظلم المشتري ولا يعتدي على حقه في التراجع عن البيع، أو استبدال السلعة إن رأى ذلك على حسب الشروط المعروفة في أنواع الخيار.

- ويتعلم أحكام القرض: ما يصح إقراضه وما لا يصح؛ حتى لا يقع في الربا أو الظلم. فبعض الناس نتيجة الجهل، يستحل أخذ فائدة على القرض، ويقول: " لو كان المال معي هذه المدة؛ لربحت فيه كذا وكذا". وبعضهم يستحل معاقبة المديون على تأخره في سداد القرض بعقوبة مالية مع أن هذا ربا بإجماع العلماء.

بل هو عين ربا الجاهلية. قال ابن كثير: " وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} يَأْمُرُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى الْمُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِدُ وَفَاءً، لَا كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ: يَقُولُ أَحَدُهُمْ لِمَدِينِهِ إِذَا حَلَّ عَلَيْهِ الدَّيْنُ: إِمَّا أَنْ تَقْضِيَ وَإِمَّا أَنْ تُرْبِيَ ". تفسير ابن كثير (717/1) باختصار.

- ويتعلم شروط بيع السَّلَم: من تسليم رأس المال في مجلس العقد، وضبط صفات السلعة المطلوبة بسائر الصفات المميزة لها، وغير ذلك حتى لا يقع في الربا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُسْلِفُونَ فِي الثِّمَارِ السَّنَةَ وَالسَّنَتَيْنِ، فَقَالَ:

(مَنْ أَسْلَفَ فِي تَمْرٍ فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ). رواه البخاري (2239)، ومسلم (1604).

وبيع السلم عكس بيع التقسيط، ففي بيع التقسيط، تقدم السلعة ويؤخر الثمن، أما في بيع السلم فيقدم الثمن وتؤخر السلعة.

- ويتعلم القبض وصُوَره، ويعلم أن " قَبْضَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ، فَإِنْ كَانَ مَكِيلًا، أَوْ مَوْزُونًا، بِيعَ كَيْلًا، أَوْ وَزْنًا، فَقَبْضُهُ بِكَيْلِهِ وَوَزْنِهِ. وَإِنْ بِيعَ جُزَافًا [بلا وزن ولا كيل]، فَقَبْضُهُ نَقْلُهُ. وإِنْ كَانَ الْمَبِيعُ دَرَاهِمَ أَوْ دَنَانِيرَ، فَقَبْضُهَا بِالْيَدِ. وَإِنْ كَانَ ثِيَابًا، فَقَبْضُهَا نَقْلُهَا. وَإِنْ كَانَ حَيَوَانًا، فَقَبْضُهُ تَمْشِيَتُهُ مِنْ مَكَانِهِ. وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يُنْقَلُ وَيُحَوَّلُ، فَقَبْضُهُ التَّخْلِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُشْتَرِيهِ لَا حَائِلَ دُونَهُ. المغني (85/4) باختصار.

- ويتعلم أحكام الإجارة؛ فلا يخلو التاجر من تأجير محلات أو مخازن للبضائع، أو سيارات لنقلها أو تشغيل عمال بالأجرة. فيعلم أنه يجب عليه إيفاء الأجير حقه عاجلًا غير آجل، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ). رواه ابن ماجه (2443)، وصححه الألباني في الإرواء (320/5). وقال ﷺ: (قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ). رواه البخاري (2227).

ويتعلم متى يجوز له تغريم الأجير عند تلف شيء ومتى لا يجوز تغريمه ونحو ذلك.

- ويجب أن يتعلم التاجر أحكام الزكاة؛ حتى يعرف كيف يُزَكِّي أمواله؟ ويعلم أن الضريبة لا تغني عن الزكاة؛ لأن البعض يعتبر دفع الضريبة مغنيًا عن إخراج الزكاة!

**نسأل الله تعالى أن يكفينا بحلاله عن حرامه وأن يغنينا بفضله عمن سواه؛ إنه سميع عليم.**

## الدرس الرابع من الوحدة السادسة: ما لا يسع المسلم جهله في الأطعمة.

رابط الدرس المرئي ( اضغط هنا للمشاهدة )

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد،

فقد امتنَّ الله علينا بأن خلق لنا أنواع الأطعمة والأغذية، قال تعالى: {وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ}.

ومكَّننا من تناولها، وأباحها لنا، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ}.

- ومِنْ نعم الله علينا: أن كل طعام مباح فهو طيب، وكل مُحرَّم فهو خبيث، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا} قال ابن كثير: " حَلَالًا مِنَ اللَّهِ طَيِّبًا، أَيْ: مُسْتَطَابًا فِي نَفْسِهِ غَيْرَ ضَارٍّ لِلْأَبْدَانِ وَلَا لِلْعُقُولِ ". تفسير ابن كثير (80/1).

وقال تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}، قال بعض العلماء: " كُلُّ ما أحلَّ الله تعالى من المآكل فهو طيِّبٌ نافعٌ في البدن والدين. وكُلُّ ما حرَّمه فهو خبيثٌ ضارٌّ في البدَنِ والدِّينِ ". تفسير ابن كثير (310/2).

- فالأطعمة نوعان: حَيَوَانٌ وَغَيْرُهُ:

أ- فَأَمَّا غَيْرُ اَلْحَيَوَانِ: مِنَ اَلْحُبُوبِ كالأرز والقمح والذرة، وَالثِّمَارِ كالموز والتفاح والبرتقال، والخضروات كالخيار والقثاء والبطاطا، والبقوليات كالفول والعدس والفاصوليا، وَغَيْرِهَا؛ فَكُلُّهُ مُبَاحٌ ما لم يكن متنجسًا أو ضارًا.

وسواء كان ضررها عامًّا: كَالسُّمِّ وَنَحْوِهِ، قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}، وقال ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ). رواه ابن ماجة (2332)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (7517). أم كان ضررها خاصًّا: كمريض السكري فيؤذيه أكل الحلويات...وهكذا.

"ومن ذلك الحمية للمرضى، فإن المريض إذا حُمي عن نوع معينٍ من الطعام، وقيل له: إن تناوله يضرك، صار عليه حراماً" الشرح الممتع (10/15).

والدخان والحشيش والمخدرات حرام أيضا للضرر فهي ضارة جدًّا، بل قاتلة بالإضافة إلى ما فيها من إسراف وإفساد، فالمخدرات غالبًا ما تؤدي إلى الوقوع في الفواحش.

- وَالْأَشْرِبَةُ بأنواعها من العصائر، والمرطبات، ونقيع التمر [النبيذ قبل أن يسكر] كُلُّهَا مُبَاحَة ما لم تكن نجسا أو ضارَّة، أو نص الشارع على تحريمها كالمسكر فإنه يحرم كثيره وقليله؛ قَالَ ﷺ: (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، مَا أَسْكَرَ الْفَرَقُ مِنْهُ فَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ). رواه أبو داود (3687)، الترمذي (1866)، وصححه الألباني في الإرواء (2376).

## بِ- وَالْحَيَوَانُ قِسْمَانِ:

1- حيوان بَحْرِيٌّ، فَيَحِلُّ كُلُّ مَا فِي الْبَحْرِ حَيًّا وَمَيِّتًا بدون استثناء. الشرح الممتع (14/15). من السمك وغيره، وكذلك ثعبان السمك [ليس الثعبان السام، بل السمكة التي على هيئة ثعبان]؛ قَالَ تَعَالَى: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ}، وقال النبيُّ ﷺ لما سئل عن الوضوء بماء البحر : (هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ). رواه أبو داود (83)، والترمذي (69)، والنسائي (332)، وابن ماجة (386)، وصححه الألباني في الإرواء (9).

2- وَالحيوان الْبَرِّيُّ: الْأَصْلُ فِيهِ الْحِلُّ، إِلَّا مَا نص الشارع على تحريمه، فمنها:

- قال ﷺ: (كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ فَأَكْلُهُ حَرَامٌ). رواه مسلم (1933).

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ. رواه مسلم (1934).
- عَنْ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةُ، وَالنَّحْلَةُ، وَالْهُدْهُدُ، وَالصُّرَدُ [هُوَ طائرٌ ضخْمُ الرأسِ والمِنْقَار، لَهُ رِيشٌ عَظِيمٌ نِصْفُه أَبْيَضُ وَنِصْفُهُ أسْود. النهاية (21/3)]. رواه أبو داود (5267)، وصححه الألباني في الإرواء (2490).

وما نهي عن قتله حرم أكل لحمه. فتاوى اللجنة (294/22). وما أمر بقتله فهو أيضًا مُحرَّم الأكل قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ كُلُّهَا فَوَاسِقُ تُقْتَلُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْفَأْرَةُ). رواه البخاري (1829)، ومسلم (1198). وَفِي رِوَايَة لمسلم: (الْحَيَّة) بَدَل (الْعَقْرَب). ينظر: الشرح الكبير على متن المقنع (302/3).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أكل الْحَيَّات والعقارب حرَام مجمع عَلَيْهِ، فَمن أكلهَا مستحلًّا لَهَا استتيب، وَمن اعتقد التَّحْرِيم، وأكلها؛ فَهُوَ فَاسق عَاص لله وَرَسُوله ". مختصر الفتاوى المصرية (335/1).

- وَجَمِيعُ الخبائث محرمة كالحشرات ونحوها؛ لقوله تعالى: {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}. وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، وَعَنِ الْجَلَّالَةِ: عَنْ رُكُوبِهَا، وَأَكْلِ لَحْمِهَا ". رواه أبو داود (3811)، والنسائي (4447)، وصححه الألباني الإرواء (2503). ولا تحل حتى تطعم علفًا طاهرًا إلى أن يطهر لحمها. منهج السالكين للسعدي (ص223-224) بزيادات.

- وأما الحيوان البر مائي كالتمساح فقد اختلف فيه العلماء فهو من المتشابه. وقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ

النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ. كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ). رواه البخاري (52)، ومسلم (1599).

وهناك أسباب عامة لتحريم الأطعمة والأشربة:

- منها: الضرر، فكل مضر حرام لحديث: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) وقد سبق.

- ومنها النجاسة فكل نجس محرم. قال تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ}

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " كُلُّ نَجِسٍ مُحَرَّمُ الْأَكْلِ، وَلَيْسَ كُلُّ مُحَرَّمِ الْأَكْلِ نَجِسًا ". الفتاوى الكبرى (373/1).

**وقد أجمل بعض العلماء ما يحرم من حيوانات البرفي ستة أنواع هي:**

1- ما نص عليه بعينه؛ كالحُمُر الأهلية.

2- ما وُضِعَ له حدٌّ وضابط؛ كما له ناب من السباع أو مخلب من الطير.

3- ما يأكل الجيف؛ كالرَّخم والغراب.

4- ما يُستخبَثُ؛ كالفأرة والحية.

5- ما تولَّد من مأكول وغير مأكول؛ كالبغل.

6- ما أمر الشارع بقتله أو نهى عن قتله؛ كالفواسق الخمس والهدهد والصرد.

الملخص الفقهي (583،582/2).

- والقاعدة أن المسكوت عنه الذي لا يدخل تحت سبب عام من أسباب التحريم: ككونه مضرًّا أو نجسًا؛ فهو عفو، قال ﷺ: (مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَافِيَةٌ؛ فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ الْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا)، ثُمَّ تَلَا

هَذِهِ الْآيَةَ: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}. رواه الحاكم (3419)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (325/5).

وقال ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: " كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَ أَشْيَاءَ وَيَتْرُكُونَ أَشْيَاءَ تَقَذُّرًا، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ ". ثم تلا قولَ الله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}. رواه أبو داود (3800)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (34).

- وكذلك ينبغي أن يعلم الأطعمة المحرمة من جهة الكسب - وإن كانت من جنس المباح في ذاته – كالمغصوب، والمسروق، والولائم المشتملة على المنكرات، والأطعمة الخاصة بأعياد الكفار [بعض المسلمين يصنع كيك ويُزَيِّنه برسم الصليب على الكيك، ثم يُقدِّمه هدية إلى صديقه النصراني إظهارًا للمحبة والإخاء المزعوم!]... ونحو ذلك.

- وأيضا هيئة تناول الطعام يجب أن يتعلمها: فيجب الأكل والشرب باليمين ويحرمان بالشمال عند الاستطاعة، قال ﷺ: (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ). رواه مسلم (2020).

عن عمر بن أبي سلمة قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ). فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. رواه البخاري (5376)، ومسلم (2022).

نسأل الله تعالى أن يكفينا بالحلال الطيب، وان يطعمنا من ثمار الجنة وأن يجعلنا ممن يقال لهم في الجنة: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}.

# المقطع الختامي

- الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:
- *هذا هو:* خاتمة الدروس.

وفيه: أهم الوصايا والتوجيهات:

- الأولى: ملخص المساق.
- الثانية: مساقات ذات صلة.
- الثالثة: أهم الكتب المتعلقة بهذا المساق.

- ملخص المساق.

يتكون هذا المساق من خمس وحدات:

- الوحدة الأولى: فضائل وأركان في طلب العلم:
  - الدرس الأول: فضل طلب العلم.
  - الدرس الثاني: الإخلاص في طلب العلم
  - الدرس الثالث: الصبر في طلب العلم.
  - الدرس الرابع: الهمة في طلب العلم.
  - الدرس الخامس: العمل ثمرة العلم.
- الوحدة الثانية: معينات طالب العلم:
  - الدرس الأول: طالب العلم والقراءة
  - الدرس الثاني: طالب العلم والكتب.

- الدرس الثالث: طالب العلم والتقنية.
- الدرس الرابع: التدرج في طلب العلم.
- الدرس الخامس: الرحلة في طلب العلم.

- الوحدة الثالثة: أصناف الناس وطلب العلم:
  - الدرس الأول: قواعد في طلب العلم لغير المتخصصين
  - الدرس الثاني: طالب العلم والحرفة.
  - الدرس الثالث: طلب العلم في الكبر
  - الدرس الرابع: النساء وطلب العلم.
- الوحدة الرابعة: مزالق في طريق طلب العلم:
  - الدرس الأول: طالب العلم وحفظ الوقت
  - الدرس الثاني: آفات طلب العلم ومعوقاته.
  - الدرس الثالث: طلب العلم في زمن الانشغالات
  - الدرس الرابع: خطورة البقاء على الجهل.
- الوحدة الخامسة: آداب وتوجيهات لطالب العلم:
  - الدرس الأول: طالب العلم والقرآن
  - الدرس الثاني: أدب الاستفتاء.
  - الدرس الثالث: التعامل مع اختلاف العلماء.
  - الدرس الرابع: العلم والأهل.
- الوحدة السادسة: أصول ما لا يسع المسلم جهله
  - الدرس الأول: ما لا يسع المسلم جهله في العقيدة.

- الدرس الثاني: ما لا يسع المسلم جهله في العبادات.
- الدرس الثالث: ما لا يسع المسلم جهله في المعاملات.
- الدرس الرابع: ما لا يسع المسلم جهله في الأطعمة.

- مساقات ذات صلة.

- مفاتيح العلوم الشرعية، للشيخ هاني الحاج.
- آداب ومنهجيات طلب العلم، للشيخين: د. مشهور الحارثي، د. عبد الله منكابو.

- أهم الكتب المتعلقة بهذا المساق.

وقد صنف العلماء جملة من المصنفات، ومن الكتب المصنفة:

- جامع بيان العلم وفضله – للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر.
- تذكرة السامع والمتكلم – للإمام بدر الدين محمد بن جماعة.
- مختصر منهاج القاصدين – للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة.
- حلية طالب العلم – للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.
- معالم في طريق طلب العلم – للشيخ عبد العزيز السدحان.